

جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصر



الفكر السياسي ل جون ستيوارت ميل

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصر

تحت اشراف :
أ. محمدي بلخير

من إعداد الطالبة:
- فقير كاتية ماسيلية

السنة الجامعية: 2022/2021

كلمة شكر و تقدير:

أقدم بجزيل الشكر و الامتتان العظيم و التقدير إلى الأستاذ المشرف محمدي بلخير على قبوله الإشراف على هذه الدراسة ،و بما منحه لي من وقت و جهد و توجيه و إرشاد،و حرصه على إتمام العمل ،فلك مني كل التقدير و الاحترام أستاذي.

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذة الفلسفة الذين تشرفت بالدراسة عندهم طيلة المرحلة الجامعية ،كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر و الامتتان إلى أعضاء لجنة المناقشة.

الإهداء:

اهدي هذا العمل المتواضع

إلى:

اعز الناس و أقربهم إلى قلبي إلى والدتي العزيزة ووالدي العزيز اللذان كانا عوناً و سنداً لي ،و كان لدعائهما المبارك الأثر في تسيير البحث حتى يكون على هذه الصورة.

إلى من ساندتني ووقفت معي ، و يسرت لي الصعاب ،إلى أختي خليفة التي تحملت الكثير لمساعدتي في هذا العمل .

إلى أختي ديهية و كل أفراد عائلتي

و إلى كل الأصدقاء،ومن كانوا برفقتي و مصاحبتي أثناء دراستي في الجامعة.

كما لا أنسى صديقتي ورفيقتي الدائمة فرحات ججيقة التي لطالما كانت بجانبني و لطالما ساندتني رغم بعدها عن الوطن.

فهرس المحتويات

| الصفحة | فهرس المحتويات |
|--------|---|
| | - كلمة الشكر |
| | - الإهداء |
| | - فهرس المحتويات |
| أ-هـ | - مقدمة |
| 34-7 | الفصل الأول: مقارنة مفاهيمية لفلسفة جون ستيوارت ميل السياسية |
| 7 | - تمهيد |
| 8 | المبحث الأول: جون ستيوارت ميل سيرته ومؤلفاته |
| 8 | 1- سيرته وفكره |
| 11 | 2- مؤلفاته ووفاته |
| 13 | المبحث الثاني: نماذج من فكره السياسي |
| 13 | 1- الليبرالية |
| 16 | 2- الحرية |
| 17 | 3- النفعية |
| 19 | 4- البرلمان |
| 21 | المبحث الثالث: مصادر ومضامين فكر ميل |
| 21 | 1- مصادر فكره |
| 28 | 2- مضامين فكره |
| 34 | - ملخص الفصل |
| 53-36 | الفصل الثاني: الفكر السياسي عند جون ستيوارت ميل |
| 36 | - تمهيد |
| 37 | المبحث الأول: التأصيل التاريخي لليبرالية والأسس المبنية عليها |
| 37 | 1- التأصيل التاريخي لليبرالية |
| 38 | 2- أسس الليبرالية |

| | |
|-------|---|
| 42 | المبحث الثاني: الحرية عند جون ستيوارت ميل |
| 42 | 1- المرأة |
| 44 | 2- الحرية |
| 47 | المبحث الثالث: مذهب المنفعة عند جون ستيوارت ميل |
| 47 | 1- المنفعة ومبدأ الإلزام الخلقي |
| 49 | 2- المنفعة ومسألة العدالة |
| 53 | - ملخص الفصل |
| 70-55 | الفصل الثالث: الاقتصاد الليبرالي السياسي عند جون ستيوارت ميل وأهم المعارضات والانتقادات التي وجهت له حول فكره السياسي |
| 55 | - تمهيد |
| 56 | المبحث الأول: الاقتصاد السياسي عند ميل |
| 56 | 1- مبادئ الاقتصاد السياسي |
| 58 | 2- الاقتصاد عند جون ستيوارت ميل |
| 60 | المبحث الثاني: تأثير ميل عند الفلاسفة |
| 60 | 1- تأثيره على فلاسفة الغرب |
| 63 | 2- تأثيره على فلاسفة العرب |
| 66 | المبحث الثالث: مقارنة نقدية |
| 66 | 1- نقد النفعية |
| 67 | 2- نقد نظرية المرأة والحرية |
| 69 | 3- في نقد الليبرالية |
| 70 | ملخص الفصل |
| 72 | الخاتمة |
| 75 | قائمة المصادر والمراجع |
| | ملخص الدراسة |

مقّمة

مقدمة:

يعتبر الفكر السياسي من أهم المفاهيم التي تشكل تخصصا جوهريا في الدراسات الإنسانية و الاجتماعية، الذي عرف هذا الأخير دلالات متعددة في الفلسفة عبر التاريخ. فالسياسة من أهم الإشكاليات الفلسفية، فهي تعتبر من بين التيارات الأكثر شيوعا في الفكر الغربي الحديث و المعاصر، كونها مطلب إنساني و أساس الكيان و الوجود.

من هنا نجد أن كثير من الباحثين و المفكرين أعطى مفهوم مختلف و مغاير للسياسة، وذلك بسبب الغموض الذي يحيطها، و كذلك تعدد مشكلاتها مثال ذلك: الحرية، الليبرالية، العلاقات الدولية... و لعل أن الفيلسوف جون ستيوارت ميل من أهم و كبار الفلاسفة الذين اهتموا بموضوع السياسة. و من خلال بحثنا هذا المتواضع سنتعرض لأهم أفكار هذا الفيلسوف باعتبار أن فلسفة جون ستيوارت ميل تميزت بالانتشار الواسع في عصره، فهو لم يترك لا صغيرة و لا كبيرة إلا و تطرق لها في فلسفته و فكره السياسي، بحيث أن فكره أحاط بمختلف الجوانب الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية و الأخلاقية .

إشكالية الدراسة :

يتعرض هذا البحث إلى الفكر السياسي لجون ستيوارت ميل ، بحيث تمت صياغة إشكالية لهذا الموضوع تحوي كل حيثيات البحث و تلم بكل تفاصيله، و قد صيغت كالتالي:

فيما يتمثل الفكر السياسي عند جون ستيوارت ميل؟

الأسئلة الفرعية:

- من هو جون ستيوارت ميل، و ماهي أهم مؤلفاته؟

- ماهي أهم النماذج التي تطرق لدراستها؟

- ماهي مصادر و مضامين فكره السياسي ؟

- ماهي أهم الأفكار و المضامين التي أسس عليها جون ستيوارت ميل فكرة الليبرالية؟

- ما مفهوم الحرية و المرأة عند جون ستيوارت ميل؟

- ماهي أهم الأفكار التي أسس عليها مذهب المنفعة؟

- ماهي أهم الانتقادات التي وجهت لجون ستيوارت ميل حول أفكاره؟

خطة البحث:

تحتوي خطة البحث على ثلاث فصول رئيسية:

الفصل الأول بعنوان: حقل مفاهيمي للفكر السياسي عند جون ستيوارت ميل، والذي تضمن ثلاث مباحث، تمثلت في: جون ستيوارت ميل سيرته و حياته، نماذج من فكره السياسي و المصادر الفكرية لفلسفة جون ستيوارت ميل السياسية و مضامين فلسفته.

أما **الفصل الثاني**، فقد عُنون: الفكر السياسي عند جون ستيوارت ميل، والذي اندرج تحته ثلاث مباحث و هي: التأصيل التاريخي لليبرالية و الأسس المبنية عليها، ثم عن الحرية عند جون ستيوارت ميل و آخر مبحث حول مذهب المنفعة عند جون ستيوارت ميل.

في حين أن **الفصل الثالث**: اندرج تحت ثلاث مباحث و هي: المبحث الأول حول الاقتصاد السياسي عند ميل، والمبحث الثاني تأثير ميل عند الفلاسفة، وأخيرا في المبحث الثالث حول مقارنة نقدية.

مناهج الدراسة:

من اجل الوصول إلى الإجابة على الإشكالية، و الأسئلة الفرعية، اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي .

المنهج التاريخي: بحيث سنتطرق إلى أهم الحقبات التاريخية التي تطور فيها فكر جون ستيوارت ميل.

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل أهم أفكار الفيلسوف جون ستيوارت ميل، وتبيان وظيفتها في الجانب السياسي و الأخلاقي و الاقتصادي.

دوافع اختيار الموضوع:

لقد كان الدافع في اختيار هذا الموضوع دون غيره أن:

- الدوافع الذاتية: كون ميلي لأفكار جون ستيوارت ميل، التي أثارت الكثير نم الجدل، كذلك كونه قام بدراسة عدة مشكلات سياسية نواجهها في الفترة الراهنة في مختلف بلدان العالم.

- أما فيما يخص الدوافع الموضوعية: فيعود دافع اختيار لهذا الموضوع انه موضوع حيوي من العلوم السياسية، يتمثل في تحديد دراسة الفكر السياسي عند جون ستيوارت ميل، وكذا تحليل و معالجة أفكاره من خلال رصد و إبراز أهم الأفكار السياسية و محاورها كالليبرالية، الحرية...

المراجع:

من بين أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في دراسة هذا الموضوع:

- وندري دونر ،رينشارد فمرتون: جون ستيوارت ميل، الذي احتوى جميع أفكار ميل السياسية.

- إمام عبد الفتاح إمام :جون ستيوارت ميل استعباد النساء، و تضمن هذا الكتاب أربع فصول حيث تحدث فيه ميل عن وضع المرأة في المجتمع ، والعمل على تحريرها من قيودها.

- الحارث النبهان: سيرة ذاتية جون ستيوارت ميل، تطرق فيه ميل إلى التحدث عن سيرته الشخصية، واهم المنعطفات التي مر بها في حياته خصوصا من قام بتعليمه بأي طريقة من الطرق.

- كتاب جون ستيوارت ميل: أسس الليبرالية السياسية، الذي كان ملما بكل الجوانب الاقتصادية و الأخلاقية و الاجتماعية خاصة السياسة الليبرالية ميل، التي لعبت دورا هاما في القرن التاسع عشر.

- كتاب الحرية ل ميل، حيث كان محور فعال في الفكر الليبرالي عند ميل، وبعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي صدرت في أوروبا في حقل الفكر السياسي.

- كتاب النفعية، الذي تناول فيه ميل مبدأ النفعية باعتبارها معيار لتحديد القيمة الأخلاقية لأفعال البشر، موضحا صلة المنفعة بالعدالة، و مبينا أن المنفعة هي المبدأ الأساسي في بناء الحرية و تقدم المجتمع.

- فريدريك روزن: ميل، ترجمه للغة العربية عاطف يوسف سليمان و الذي تكلم حول تسيير الفلسفة الاجتماعية و السياسية عند جون ستيوارت ميل.

- إميل اللغوي: الحكومات البرلمانية جون ستيوارت ميل، و هذا الكتاب كان الغاية الأولى في تطوير العقل و الفضيلة لدى الشعب، و هذا الكتاب الذي كان قبل نحو مئة و خمسين عاما مازال يتضمن أفكار شديدة الأهمية في عصرنا الراهن.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة و بناء على تساؤلاتها و منهجيتها إلى:

- تغطية جانب نظري واسع من فكر جون ستيوارت ميل.

- الرغبة في التعرف على أصول فلسفة ميل.

- ابراز دور و أهمية الفكر السياسي عند جون ستيوارت ميل.

الصعوبات و المعوقات:

- صعوبة استخدام الكم الهائل من المعلومات في مذكرة بسيطة الحجم.

- افتقار مكتبتنا إلى كتب لها دراسات معاصرة في هذه النظرية و التي باستطاعتها إثراء الموضوع أكثر و الإلمام بجميع جوانبه المهمة.

- تغيرات وجهة نظر ميل منذ ظهور نظرياته، مما يصعب تحديد الأفكار الحقيقية بسبب التناقضات.

- وجد صعوبة في بعض الشيء في التعامل مع المؤلفات الأساسية لميل التي تتناول موضوعات الدراسة.

وفي الأخير اقو لان هذا العمل ليس سوى محاولة متواضعة ،حاولت من خلالها تبيان النقاط الأساسية المتعلقة بالفكر السياسي لفلسفة جون ستيوارت ميل ،وما أحدثه من تغير في شتى مجالات الحياة الفكرية ، السياسية ، الاجتماعية والاقتصادية.

الفصل الأول: حقل مفاهيمي للفكر السياسي عند جون

ستيوارت ميل

المبحث الأول: جون ستيوارت ميل سيرته و أهم مؤلفاته.

1- سيرته و فكره.

2- أهم مؤلفاته ووفاته.

المبحث الثاني: نماذج من فكره السياسي:

1- الليبرالية

2- الحرية.

3- النفعية.

4- البرلمان.

المبحث الثالث:المصادر الفكرية لفلسفة جون ستيوارت ميل

السياسية و مضامين فلسفته.

1- مصادره الفكرية.

2- مضامين فلسفة ميل.

تمهيد:

تعتبر السياسة من أهم القضايا التي شغلت المفكرين و الفلاسفة من الفترة القديمة إلى غاية الفترة الحديثة و المعاصرة، حيث باتت اليوم من أهم القضايا الأكثر تداولاً في العالم، خاصة في العصر المعاصر و العصر الحديث باعتبارها قضية و مشكلة راهنة.

و نحن في هذا الصدد سنحاول الإحاطة بمفهوم الفكر السياسي، و أهم النماذج السياسية عن طريق أخذنا للفيلسوف جون ستيوارت ميل نموذجاً لهذه الدراسة، و عليه سنحاول اختيار شرح بعض المفاهيم التي تطرق لها في فكره السياسي، إضافة إلى ذلك التطرق لمصادر و مضامين فكره السياسي.

المبحث الأول: جون ستيوارت ميل سيرته أهم مؤلفاته

1- سيرته و فكره:

ولد جون ستيوارت ميل¹ John Stuart Mill في 1806 في لندن، و هو الابن الأكبر للمنظم الاقتصادي النفعي جيمس ميل² James Mill، و يعد هذا الأخير صاحب إسهامات كثيرة في الاقتصاد.

يعد جون ستيوارت ميل من أهم الفلاسفة الذين برزوا في القرن التاسع عشر، و هو فيلسوف اقتصادي بريطاني نفعي انجليزي و نسوي، و درس القانون و الاقتصاد و التاريخ القديم و اللغات. تأثر بالمعرفة و بالتحديد المدرسة الفرنسية و ما بعدها، و قد كان رفيع الأخلاق و الفضائل³.

كما تميز بالذكاء و الاستيعاب، وكان يمتلك ثقافة تاريخية واسعة، بدء مشواره الفلسفي في سن مبكرة، و توجه بشغف إلى دراسة الفلسفة و اهتم بالنطق، فقرأ الأرخانون⁴، أرسطو⁵ و استعان كذلك بقراءة موجز في المنطق للفيلسوف هوبز^{6,7}.

و بهذا لم ينشأ ميل كباقي الأطفال لأنه كان منعزلاً، أي اخذ في فترة الطفولة كثيراً من المعلومات، ما كان يملكها أي طفل في مثل عمره، و كانت عليه الكثير من الضغوطات

¹ جون ستيوارت ميل: فيلسوف و اقتصادي انجليزي، ولد في لندن في 20\10\1806، وترعرع على مبادئ والده جيمس ميل، كما تأثر بفكر جبرمي بننام. درس اليونانية و هو في الثالثة من عمره، و اللغة اللاتينية في الثامنة، و الاقتصاد و المنطق في الثانية عشرة، و يعد من كبار دعاة مذهب النفعية، ولم تقتصر كتاباته على النظرية السياسية، بل شملت أيضا المنطق و الإبتيمولوجيا.

² جيمس ميل: 1773\1836، هو مؤرخ و اقتصادي و منظر سياسي و فيلسوف اسكتلندي، يعد واحدا من مؤسسي المدرسة الراديكالية، و هو أب جون ستيوارت ميل.

³ يميني طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين (الأصول، الحصاد، الأفاق المستقبلية)، مؤسسة هنداي للتعليم و الثقافة، دط، القاهرة، 2014، ص135، بتصرف.

⁴ الأرخانون: كلمة إغريقية تعني الآلة، و هي مجموعة كتب أرسطو في المنطق.

⁵ أرسطو: 322\384 ق.م فيلسوف يوناني و تلميذ أفلاطون، يعد واحد من عظماء المفكرين وكان لفلسفته تأثير فريد على كل شكل من أشكال المعرفة تقريبا في الغرب.

⁶ توماس هوبز: 1588\1679 عالم رياضيات و فيلسوف إنجليزي و يعد من أكبر الفلاسفة في القرن السابع عشر و أكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني.

⁷ رحيم أبو رغيف الموسوي: الدليل الفلسفي الشامل، ج3، دار المحجة البيضاء، ط1، بيروت، 2015، ص446.

خلال تلك الفترة التي كان فيها يقرأ للفلاسفة الذين تأثر بأفكارهم ،وذلك من خلال حرص أبيه عليه و ما يطالبه منه، والذي كان يراجع أفكاره من خلال نزهته معه.

قرأ ميل كتب بنتام¹ و كوندياك² ، لوك³ و هيوم⁴ ،فجمع لأبيه كثيرا من المواد لكتابة "تحليل تحليل الفكر الإنساني"، و انظم إلى فريق الشباب الذين كانوا يعملون على نشر أفكار جيمس ميل "الفلسفية و السياسية"⁵ كما اطلع على إمهات الكتب في الاقتصاد السياسي مثل مثل : "ثروة الأمم لآدم سميث"⁶.

تعرض ميل في السن العشرين إلى أزمة عقلية أصابته بكآبة شديدة، بسبب الضغوطات التي تعرض لها من خلال نشأته ،و في إحدى الأيام حينما كان يقرأ قصة محزنة من ذكريات الكاتب الفرنسي "مارمونتيه"،شعر فجأة بالحاجة للبكاء ، و قد أخذ التعافي شكل تمرد بطيء، و كأنه تمرد بارز و غير قابل للمقاومة، ضد الرأي بشأن الحياة التي غرسها في ذهنه كل من والده و البنتميين⁷.

أهم أفكاره:

مرّ جون ستيوارت ميل بمراحل فكرية ميزته عن باقي الفلاسفة، فنجد أن هذا الفيلسوف ذات سيرة علمية قيمة جلبت الأنظار حولها ،و ذلك من خلال مناصبه و أعماله ،بحيث جعلت

¹بنتام 1832\1748 هو عالم قانون و فيلسوف إنجليزي، ومصالح قانوني و اجتماع، اشتهر بدعوته إلى النفعية وحقوق الحيوان وكان أستاذ جون ستيوارت ميل.

²كوندياك:1780\1714 فيلسوف فرنسي مشهور من فلاسفة عصر الأنوار، وعالم معرفي فرنسي، بحث في ميادين علم النفس و فلسفة العقل.

³جون لوك:1704\1632 فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي،ويلقب بأبي الليبرالية.

⁴هيوم:1776\1711 فيلسوف ومؤرخ اسكتلندي ،و شخصية مهمة في الفلسفة الغربية،وأحد رواد الفلسفة الوضعية المنطقية.

⁵يوسف كرم: "تاريخ الفلسفة الحديثة" ، كلمات عربية للترجمة و النشر،دط، القاهرة،2012، ص364، بتصرف.

⁶آدم سميث:فيلسوف ومن كبار المفكرين في الاقتصاد السياسي وواحد من الشخصيات الرئيسية في التنوير في مجال الاقتصاد،وأبو رأس المال.

⁷إيزايا برلين: الحرية خمس مقالات عن الحرية ، تر:يزن الحاج، دار التنوير للطباعة و النشر، ط1، القاهرة، 2015، ص262.

العديد من الباحثين يصفونه بأنه أعظم فيلسوف في القرن التاسع عشر. فمن بين الوظائف والمسؤوليات التي تقلدها نجد:

في 1823 عين موظفا في شركة الهند الشرقية التي كان يعمل بها والده، و استمر ميل بهذه الشركة إلا أن ألغيت باستيلاء الحكومة البريطانية على شبه القارة الهندية في 1857، و عرض عليه إثر ذلك أن يكون عضوا في مجلس الهند الذي أنشأ آنذاك، لكنه رفض و ذلك للتفرغ لأعماله الفكرية¹.

و خلال وفاة والده تولى قيادة المذهب النفعي ، و أصبح ممثلا للفلاسفة الراديكاليين، ثم انتخب عام 1865 عضوا في البرلمان كنائب عن دائرة "وستمنستر" في مجلس العموم البريطاني ، و كانت تلك فرصة بالنسبة له للإسهام في النقاشات السياسية و الاقتصادية التي طبعت ذلك العصر.

ركز جون ستيوارت ميل على ثلاث إصلاحات و هي :

- تحسين أحوال الطبقات الكادحة.
- حق المرأة في الانتخاب.
- إصلاح الأراضي في أيرلندا².

و كان أيضا رئيس جامعة "سينت اندروز" في اسكتلندا من عام 1865 إلى 1867، و فضلا عن كل ذلك قام بدور نشط في العديد من القضايا السياسية في عصره، بما في ذلك الحملات المطالبة بحق النساء في التصويت ، و كان أول من اقترح في البرلمان مشروع قانون يمنح للنساء الحق في التصويت.

¹برانتد راسل: "حكمة الغرب"، "الفلسفة الحديثة والمعاصرة"، ج2، تر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، دط، الكويت، 1983، ص161.

²جون ستيوارت ميل: "أسس الليبرالية السياسية"، تر: إمام عبد الفتاح إمام، ميشيل متياس، مكتبة مدبولي، دط، 1996، القاهرة، ص13، بتصرف.

2- مؤلفاته و وفاته:

كان لميل العديد من المؤلفات و الأعمال تمثلت في:

-كتاب عن المنطق 1843.

-مبادئ الاقتصاد السياسي 1848 Principales of Political Economy.

-في الحرية 1859 One Liberty.

-نظرية المنفعة 1861 Utilitarianism .

-دراسات في الحكومة النيابية 1861 .

-دراسة لفلسفة وليام هاملتون 1869 Examination of Hamilton's Philosophy .

- استعباد النساء The Subjection of Women كتبت في 1861، ونشرت عام 1869.

- سيرة ذاتية 1873 Autobiography .

-وثلاث مقالات نشرت بعد وفاته هي: الطبيعة، فائدة الدين و مذهب التالية¹.

فمن حيث هذه المؤلفات التي اشتهر بها نجد مثلا في مؤلفه:

كتاب سيرة ذاتية: يتناول المعلومات التاريخية التي ذكرها في العصر الذي عاش فيه، ومدى أهمية شخصية والده و آرائه و المصادر التي أثارت فكره و تأثره بها.

¹جون ستيوارت ميل : أسس الليبرالية السياسية، تر إمام عبد الفتاح إمام، ميشيل متياس ، مكتبة مدبولي (د،ط)، القاهرة 1996، ص 14 13.

كتاب النفعية: يدافع فيه عن مبدأ المنفعة في العمل و يعرض لتصحيح مذهب بنتام و تكميله¹.

كتاب عن الحرية: أهدى في صدر هذا الكتاب عبارات الشكر و الامتنان لمحبوبته تايلور و العرفان بجميلها، ويوضح فيه كذلك انتصار الفرد في سطوة المجتمع و طغيان الأغلبية و دحض كل الآراء التي تبرر تقييد المجتمع لحرية الفرد.

كتاب استعباد النساء: أشار فيه ميل أن المبدأ الذي ينضم العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجنسين مبدأ خاطئ و أنه يعوق تقدم المجتمع و يحول دون تطوره إلى الكمال، ومن ثم يجب أن يأخذ مكانه مبدأ جديد يقوم على المساواة التامة بين الجنسين، و في هذا ناضل ميل حتى تسترد المرأة حقوقها الاجتماعية و السياسية².

كتاب مبادئ الاقتصاد السياسي: عرض فيه مبادئ الاقتصاد السياسي و تطبيقاته على أهم القضايا السياسية و الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك و دافع عن الاشتراكية، و رأى أن توزيع الملكية ينبغي أخذها بعين الاعتبار للتطور التاريخي لكل مجتمع، وأن تخضع لمصلحة هذا المجتمع.

وهكذا عاش ميل في جو حافل بالنشاط، إلا أن استغراقه في العمل هد بنيته و أتلّف صحته و إن كان الضعف الذي اعتراه لم يعقه عن مواصلة نشاطه، حتى وافته المنية في 08 ماي 1873، حيث دفن قرب زوجته في آفينيون.

¹يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة و النشر،(د،ط)، القاهرة ، 2012 ،ص364.

²توفيق الطويل : جون ستيوارت ميل ، دار المعارف ،(د ط)،مصر ،1998،ص22.

المبحث الثاني: نماذج من فكر ميل السياسي

1- تعريف الليبرالية:

لغة: الليبرالية لغة معناه الحرية، و التي هي تعريب لكلمة Liberalisme في الانجليزية و Léberalisme في الفرنسية، وهي تعني التحررية، و يعود اشتقاقها الى Leberly في الانجليزية و Liberte في الفرنسية ، و معناها الحرية¹.

و كثير من الكتاب يعرفون الليبرالية بترجمتها اللفظية من اللاتينية إلى العربية بأنها تعني الحرية، فكلمة ليبراليس Liberalis تعني ما يليق بالرجل الحر، و كلمة ليبت Libet و لوبيت Lubet تعني الطليق².

عرف الطيب بو عزة الليبرالية على أنها: ترجع للفظ اللاتيني "ليبراليس"، الذي يعني الشخص الكريم، النبيل، الحرّ، ومن بين هذه الدلالات الاشتقاقية التي يحملها اللفظ نجد أن المعنى الأخير أي الشخص الحر هو المعنى الذي سيكون مرتكز البناء الدلالي للمفهوم لاحقاً، حيث نلاحظ انه حتى نهاية القرن الثامن عشر لم يكن لفظ الليبرالية متداولاً، بل كانت الكلمة الشائعة هي "ليبرال" Libérale التي يقصد بها "الشخص المتحرر فكرياً"³.

اصطلاحاً: ليس هناك اتفاق في تعريف الليبرالية، إذ نجد أن الطيب بو عزة يعرفها على أنها: "فلسفة اقتصادية و سياسية ترتكز على أولوية الفرد بوصفه كائناً حراً، فمقولة الحرية هي المقولة المركزية التي يحرص المذهب الليبرالي على إبرازها في تحديد ذاته و نقد مخالفه، و كأنه هو وحده الذي ينزع نحو الحرية و يحلم بتجسيدها"⁴. و هذا يعني أن الليبرالية من ناحية الفكر هي الحرية في الاعتقاد و التفكير و التعبير، و من ناحية الاقتصاد

¹ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1972، ص465.

² عبد العزيز بن مرزوق الطريفي: العقلية الليبرالية (في وصف العقل و وصف النقل)، دار الحجاز للنشر و التوزيع، ط1، الإسكندرية، 2011، ص133.

³ الطيب بو عزة: نقد الليبرالية، دار المعارف الحكيمة، ط1، لبنان، 2007، ص18، ص19.

⁴ الطيب بو عزة: نقد الليبرالية، ص20.

هي حرية الفعل الاقتصادي المنتظم وفق قانون السوق و حرية الملكية الخاصة، أما من ناحية السياسة فهي حرية اختيار السلطة و إنشاء الأحزاب السياسية.

عرفها الفيلسوف "جون جاك روسو" بأنها: "الحرية الحققة في أن نطيع القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا". بمعنى انه لدى الشعب حرية اختيار مصيره السياسي و تأسيس القوانين و المشاركة في اختيار الحاكم المناسب ، لكن بعد ذلك تطبيق كل القوانين التي سنها، و طاعة الحاكم الذي الشعب بنفسه اختاره ليكون مسؤولا عليه.

ونجد كذلك المفكر الانجليزي توماس هوبز عرف الليبرالية على أنها: "غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء"¹، و يقصد هنا هوبز بقمع رغبات الشعب لأنّ الإنسان ذئب لأخيه الإنسان فوجب استخدام القمع للحد من رغبات الإنسان التي تؤذي أخيه الإنسان، و القمع هي سياسة الديكتاتورية.

عرف لالاند الليبرالية على أنها: "مذهب سياسي يرى أن من المستحسن أن تزداد إلى ابعد حد ممكن استقلالية السلطة التشريعية و السلطة القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية أو التنفيذية، و أن يعطي للمواطنين اكبر قدر من الضمانات في مواجهة تعسف الحكم، زيادة على أنها مذهب اقتصادي يرى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى وظائف صناعية، و لا وظائف تجارية ، و أنها لا يحق لها التدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الأفراد و الطبقات أو الأمم"²، و المقصود هنا استقلالية السلطات التشريعية و القضائية على التنفيذية و ذلك لضمان حقوق المواطن و ترك المجال للأفراد للتبادل الاقتصادي فيما بينهم و عدم تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية للأفراد .

و يعرفها كذلك عبد الله العروي: "تعتبر الحرية المبدأ و المنتهى، الباعث و الهدف، الأصل و النتيجة في حياة الإنسان، و هي المنظومة الفكرية الوحيدة التي لا تطمع في شيء

¹ عبد العزيز بن مصطفى كامل: معركة الثوابت بين الإسلام و الليبرالية ، دار الكتب ، دط، القاهرة ، 1996، ص32، ص33.
² أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ، تر: خليل أحمد خليل، مج1، منشورات عويدات، 2، بيروت، 2001، ص125، 126.

سوى فصل النشاط البشري الحر و شرح أوجهه و التعليق عليه¹، بمعنى أن مبدأ الليبرالية الوحيد هو الحرية باعتبارها الهدف الذي يحققه الإنسان في حياته و لا شيء أعلى منها.

و هناك من يعرف الليبرالية أيضا على أنها مذهب سياسي و اقتصادي و اجتماعي، يقوم في جوهره على حماية و تعزيز و سمو حرية الفرد المقرونة بالمسؤولية، بحيث يؤكد الليبراليون على الدور الذي يجب أن تلعبه الحكومات و القوانين لحماية الأفراد من التعرض للأذى من قبل الآخرين، و الاعتداء على حقوق ملكيتهم ، و لكن الليبراليون يحذرون أيضا من أن تتحول هذه الحكومات و القوانين نفسها إلى خطر على الحرية و حقوق الأفراد².

أما الفيلسوف جون ستيوارت ميل الذي هو أساس موضوع بحثنا هذا فإنه يعد الأب الروحي للفكر الليبرالي، بحيث يعرفها بأنها: "إطلاق العنان للناس ليحققوا خيرهم بالطرق التي يرونها، طالما لا يحاولون حرمان الغير من مصالحهم، و لا يعيقون جهودهم لتحقيق تلك المصالح، فكل فرد يعد أصلح رقيب على ثروته الخاصة، سواء كانت هذه الثروة جسمانية أم روحية أم فكرية"³. أي أن إعطاء الحرية الكاملة للناس لرؤية شؤونهم من مختلف الجوانب طالما لا يمسون صالح بعضهم البعض.

من هنا نستخلص أن الليبرالية فلسفة اقتصادية و سياسية و اجتماعية، و طريقة في التفكير تدور حول الإنسان و السياسة و الاقتصاد، كما أنها تؤكد على الحرية الفردية المطلقة في جميع المجالات، و عدم التقييد بأي ضوابط أو قيود، فالإنسان تابع لنفسه و هواه، وهي تعني أيضا الانفلات باسم التحرر التام من أنواع الضغط، و عليه فان نواة الليبرالية هي حرية الفرد الغير المحدودة.

¹ عبد الله العروي: مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، ط5، بيروت، 2012، ص49.

² محمد سبيلا ونوح الهرموزي: موسوعة المفاهيم في العلوم الإنسانية و الفلسفية، منشورات المتوسط، ط1، بغداد، 2017، ص412.

³ جون ستيوارت ميل: عن الحرية، تر: هيثم كامل الزبيدي، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2017، ص87.

2- مفهوم الحرية:

لغة: تدور معاني الحرية حول معنى التحرر من العبودية و الرق ، و الاسم :حرية ،و حرره :اعتقه ، و الحرة نقيض الأمة ، و الحر من الناس أختيارهم أو أفاضلهم، و أشرافهم، و الحرة من النساء الكريمة الشريفة ،و سحابة مرّة أي كثيرة المطر،، و الحر الفعل الحسى ، و الحر كل شيء فاخر من شعر و غيره¹.

اصطلاحا: يعرفها الطاهر بن عاشور : "جاء لفض الحرية في كلام العرب مطلقا على معنيين ، احدهما ناشئ على الآخر ، فالمعنى الأول : ضد العبودية وهي أن يكون تصرف الشخص العاقل عن شؤونه بالأصالة تصرف غير متوقف على رضا الطرف الآخر، و المعنى الثاني: ناشئ عن الأول بطريقة المجاز في الاستعمال ، و هو تمكن الشخص من التصرف في نفسه و شؤونه كما يشاء"².

أما الدكتور وهبة الزحيلي فيعرفها بأنها : " ما يميز الإنسان عن غيره و يتمكن بها من ممارسة أفعاله و أقواله و تصرفاته بإرادة و اختيار من غير قصر و لا إكراه ، و لكن ضمن حدود معينة"³.

و من تعريفاتها أيضا أنها : "المكنة العامة التي يقرها الشارع للأفراد ، بحيث تجعلهم قادرين على أداء واجباتهم و استيفاء حقوقهم ، و اختيار ما يجلب لهم المنفعة و يذرا عنهم المفسدة دون إلحاق ضرر بالآخرين"⁴.

و نستنتج مما ذكر في السابق أن الحرية من المكرمات التي كرم الله تعالى الإنسان بها دون غيره من المخلوقات، إضافة إلى ذلك نجد أن الحرية مقيدة بقواعد و محددات مجتمعية

¹إبن المنظور: لسان العرب ،مج1، دار الصادر، بيروت، ط1، ص292.

²محمد الطاهر بن عاشور:مقاصد الشريعة الإسلامية، مطبعة دار النفائس،الأردن،ط2، 2001، ص390.

³وهبة الزحيلي:حق الحرية في العالم، دار الفكر ،ط1، دمشق،2000،ص54.

⁴رحيل محمد غرابية: الحقوق و الحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، دار المنار للنشرة التوزيع، ط1، القاهرة، 2000، ص41.

متفق عليها ، فحرية الإنسان في الإسلام مثلا تنتهي عندما تبدأ حدود الله .بقوله تعالى :**"تلك حدود الله فلا تعتادوها و من يعتدي حدود الله فأولئك هم الظالمون"** (البقرة :99).

أما الفيلسوف جون ستيوارت ميل فله الفضل في توسيع مفهوم الحرية ،بدلا من أن كان يعني تحرير الإنسان من العبودية فقد أرجعه إلى حرية الإنسان في الاختيار و الرأي و التعبير و ممارسة العمل و ما إلى ذلك. و قد وصف الخبير الايطالي هواردينمان أهمية أفكار ميل في موضوع الحرية إذ يقول :**"يعتبر جون ستيوارت ميل أشهر الكتاب السياسيين البريطانيين في القرن الماضي ،و يعد كتابه عن "الحرية" أساسا علميا و فكريا للفكر الغربي"**¹.

و من آراء جون ستيوارت ميل في الحرية أنها أساس الدساتير الغربية ، بحيث أصبحت هذه الدساتير موضوع الحريات و تتخذ من الآراء التي فصلها ميل مرجعية فكرية لها².

3- مفهوم النفعية:

لغة: مشتقة من الأصل اللاتيني Utilits أي خاصية و ميزة للشئ النافع ، بقول جميل صليبا : **" نفعه نفعاً أفاده و أوصل إليه خيراً ، و المنفعة Utilité اسم من النفع ، وهي الفائدة التي تترتب على الفعل"**³.

اصطلاحا : النفعية مذهب أخلاقي غايتها تحصيل سعادة الفرد ، يعرفها جميل صليبا في معجمه الفلسفي : **" أن النفعية مبدأ جميع القيم ،علمية كانت أم عملية، و لها في الفلسفة الحديثة ممثلان شهيران، احدهما بنتام و الآخر جون ستيوارت ميل ، أما بنتام فإنه يرى**

¹خالد بن عبد العزيز السيف : الحرية عند جون ستيوارت ميل ،قراءة في ضوء الإسلام، مجلة كلية العلوم الإسلامية،

العدد 67 ، 30 اوت 2021، السعودية، ص69،ص70.

²المرجع نفسه،ص90.

³جميل صليبا: نفس المرجع السابق ،ص499.

المنفعة علة اللذة، لا اللذة نفسها ، و غايتها تحقيق خير الفرد و الجماعة ، أما ميل فإضافته على مذهب بنتام في حساب اللذات الكمية تتمثل في اللذات و تحديدها كيفاً¹.

و يرى لالاند أن مذهب النفعية يجعل من النافع أساس كل القيم في مجال المعرفة و كذلك في مجال الفعل².

اتبع ميل نفس طريقة بنتام في تفسير المذهب النفعي ، في كون أن المنفعة هي السبيل لتحقيق اكبر سعادة ممكنة ، و هذا ما يؤكد في كتابه "النفعية" بقوله : " بالنسبة للنظرية النفعية ، النافع ليس أداة بل يدل على أمر أخلاقي يتمثل في السعي لتحقيق اكبر سعادة ممكنة لأكبر عدد من الناس"³. و هذا يعني أن النفعية عند ميل عمل أخلاقي هدفه تحقيق السعادة للناس.

من هنا نستخلص أن المنفعة هي غاية الأفعال الإنسانية ، و معيار للأحكام الخلقية ، و معنى ذلك أن الأفعال تكون صواباً بقدر ما تساعد على زيادة السعادة و خطأ بقدر ما تساعد على إنتاج التعاسة، و في هذا يقول ميل : "إن ما اعنيه بالسعادة هو اللذة و غياب الألم ، و بالتعاسة الألم و فقدان اللذة"⁴. و هنا يتفق ميل مع أستاذه بنتام في إقرار مبدأ المنفعة انه غاية لكل سلوك إنساني و المعيار الذي نحدد و نحكم فيه على أفعال الإنسان صواب كان أم خطأ.

¹المرجع نفسه، ص500.

²أندريه لالاند، نفس المرجع السابق، ص1514.

³جون ستيوارت ميل: **النفعية**، تر: سعاد شهرلي حرار، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2012، ص23.

⁴جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية**، نفس المرجع السابق، ص45.

3- مفهوم البرلمان:

لغة: لا يوجد تعريف لغوي في اللغة العربية لكلمة برلمان فهو لفظ فرنسي مشتق من الفعل Parler بمعنى يتكلم ، و يشير إلى اجتماع يعقد للبحث و المناقشة و المشاورة ، كما يطلق على المكان الذي ينعقد فيه الاجتماع¹.

اصطلاحا : تعددت المفاهيم المقدمة للبرلمان و سوف نتطرق هنا لبعض التعاريف:

يعرفه سعيد بو شعير بأنه : "الهيئة السياسية المشكلة من مجلس أو مجلسين ، يضم كل واحد منها عددا من النواب و يتمتع بسلطة البث في المواضيع التي تدخل في اختصاصاته و أهمها التشريع و المراقبة"²، أي أن الهيئة تتكون من مجلس أو مجلسين ومن أهم مهامه تشريع القوانين و مراقبة أعمال الحكومة.

أما محمد حمدان المصالحة عرفه بأنه : "الهيئة التي ينتخبها الشعب لممارسة الوظائف التشريعية و أهمها تقرير الضرائب و سن القوانين بالإضافة إلى رقابة الحكومة"³، أي أن البرلمان من تأسيس الشعب من اجل سن القوانين و مراقبة السلطة.

و جاء في موسوعة المفاهيم و المصطلحات الانتخابية و البرلمان انه : "كلمة فرنسية تعني المحادثة و النقاش ومن ثم اجتماع أفراد للمناقشة و التباحث في القضايا ، و يقصد بالبرلمان الهيكل التمثيلي و المكون من مجموعة أفراد من الشعب يتولون مسؤولية تمثيلية و من خلاله يقومون بوضع الإطار القانوني الذي يحكم المجتمع"⁴.

¹رعاطشي حميد: المعارضة البرلمانية و التحول الديمقراطي في العالم العربي دراسة مقارنة بين الجزائر و الكويت،

مذكرة ماجستير، (قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2009)ص15.

²سعيد بو شعيرة: القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة، ج2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص19.

³الأمين سويقات: الأحزاب السياسية و الأداء البرلماني دراسة مقارنة بين الجزائر و المغرب، أطروحة دكتوراه (قسم

العلوم السياسية ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة بسكرة، 2016) ، ص14.

⁴عمر هاشم ربيع: موسوعة المفاهيم و المصطلحات الانتخابية و البرلمانية، مركز الأهدام دراسات الإستراتيجية،

القاهرة، 2009، ص72.

من هنا نستنتج أن البرلمان هو مؤسسة حكومية منتخبة من طرف الشعب و لها العديد من المهام أو الصلاحيات ومن أهمها تشريع القوانين و مراقبة أعمال الحكومة.

المبحث الثالث: المصادر الفكرية لفلسفة جون ستيوارت ميل و مضامين فلسفته

1- مصادره الفكرية:

إن فكرة النفعية لجون ستيوارت ميل نجدها في الفلسفة اليونانية، بحيث يرجع ذلك إلى السفسطائيين¹ و الأبيقوريين²، و نجد أن نظرية المنفعة تطورت إلى غاية العصر الحديث على يد جيرمي بنتام و جيمس ميل ليرثها ميل على والده و أستاذه ، من هنا سنتطرق على أهم مصادر جون ستيوارت ميل في فكره السياسي.

أ- الفلسفة اليونانية:

إن المذهب النفعي من أهم المذاهب الشهيرة في الأخلاق، الذي يهدف إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة لأكثر عدد من الناس، أي أن المنفعة غايتها تحقيق السعادة التي بدورها تحقيق الخير للأفراد .

نجد أن هذا المذهب نشأ مع السفسطائيين، فقد وصفوا هؤلاء بأنهم يعلمون الفضيلة ، و لكن يجب أن نشير إلى أنّ الفضيلة في ذلك الحين لم يقصد بها المعنى الأخلاقي الذي تدل عليه الآن ، بل عبر عنها اليونان بمقدرة الشخص على أداء وظيفته في الدولة بكفاءة و نجاح³. و هكذا فإن وظيفة رجل الآلة أن يفهم الآلة و وظيفة الطبيب هي العناية بالرضى و فضيلة مدرب الخيول هي القدرة على تمرينها، و لقد اخذ السفسطائيون على عاتقهم أن يدرّبوا الناس على الفضيلة بهذا المعنى لجعلهم مواطنين ناجحين و أعضاء ناجحين في الدولة⁴.

¹السفسطائيين: أتت كلمة السفسطائيين من مصطلح سفسطة، و هم كانوا نوعاً محدداً من المعلمين في اليونان القديمة، في القرنين الرابع و الخامس قبل الميلاد. تخصص العديد من السفسطائيين باستخدام أدوات الفلسفة و البلاغة، أما آخرون اهتموا بمواضيع الموسيقى و الرياضة البدنية و الرياضيات.

²الأبيقوريون: هو مذهب فلسفي منسوب إلى الفيلسوف أبيقور ، الذي انشأ و ساد لمدة ستة قرون ، و مؤاد هذا المذهب أن اللذة هي وحدها الخير الاسمي و الألم وحده هو الشر الأقصى.

³أحمد أمين وزكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1935، ص95.

⁴ولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: معاهد عبد المفعم مجاهد، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ده، القاهرة ، 1984، ص100.

من هنا نجد أن الفضيلة عند السفسطائيين تعني أداء الوظيفة على أكمل وجه ، و يرون كذلك أن الشيء أم أي شيء يكون خيرا حين يصبح موضوع إرادة الإنسان و رغبته ، و بهذا فالقيم الأخلاقية عند السفسطائيين متأسة على المعرفة التي أقيمت على تدمير المعايير الموضوعية.

في هذا نجد جون ستيوارت ميل يطرح المشكلة الأخلاقية كمسكلة فلسفية قديمة، فبحث في جذورها ليؤكد بأن أب النفعية هو سقراط¹ ، عينه حين جادل السفسطائيين و بروتاغورس² الذي كان يؤكد أن الإنسان مقياس كل شيء³ ، من هنا نادى السفسطائيون في مجال الأخلاق إلى أنها اعتبارات شخصية مثلها مثل الفلسفة ، و إنّ الخير هو ما نريده و الشر ما نبغضه ، فتكون بهذا الأخلاق نسبية من وجهة نظر كل الأفراد، كما أنها تتغير من جيل لآخر ، و اعتقدوا أن الإنسان مقياس الأشياء كلها ، وأن الحق و الباطل و الخير و الشر أمور نسبية تتعلق بأهداف الأفراد و ظروفهم الشخصية.

تأثر ميل خاصة في نظريته بالقانون الوضعي ، وكان السفسطائيون هم السابقون إلى ذلك ، حتى أنهم وضعوا تمييزا بين القانون الوضعي و الطبيعي ، و ذهب بعضهم إلى أن القانون الطبيعي هو الأفضل و يجب تطبيقه لأنه ليس فيه خطأ و سيحرمه الناس و ذهب الناس خلاف ذلك⁴. أي أن السفسطائيون هم أول من فرقوا بين القانون الوضعي و القانون الطبيعي، أي إلى أي منهما يعود أصل نشأة القانون ؟ بحيث رأى البعض أن القانون الطبيعي و الإلهي هو الأصل ، و البعض الآخر مثل بيتاغورس رأى أن القانون الوضعي

¹سقراط: فيلسوف كلاسيكي و حكيم يوناني و يعتبر احد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات ، و جل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلاميذه "محوارات أفلاطون" و هي من أكثر الروايات شمولية لشخصية سقراط.
²بروتاغوراس: فيلسوف يوناني ، و يعتبر زعيم الفكر السفسطائي و كان يعتقد أن الإنسان مقياس كل شيء أي أن الخير و الشر و الصح و الخطأ ، تتحدد بحسب حاجات الكائن البشري.
³جورج زيناني: رحلات داخل الفلسفة الغربية ، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993، ص45.

⁴ديفيد ج كوج: السفسطانية وأثرها على ما بعد الحداثة ، حروف منشورة للنشر الإلكتروني ، دط، 2014، ص57.

ليس مستمدا من الآلهة أو الطبيعة بل شرع من قبل أناس أحرار قاموا بتنظيم المجتمعات و تطبيق قانون يقر بالمساواة على الجميع ، و على احترام حقوق الآخرين.

اعتقد السفطائيين أن الضعف لا يعود إلى طبيعة المرأة و إنما للعادات و التقاليد، و ميل تأثر بهم حد هذه النقطة ، حيث حارب الآراء الكلاسيكية التي ترى الضعف في المرأة ، و هو جزء من طبيعتها و أن وظيفتها تكمن في الإنجاب و تربية الأولاد ، و قد دافع ميل عن حقوق النساء و تحريرها ، فاعتقد أن مشكلة النساء ليس في طبيعتها و إنما في العادات و التقاليد التي جعلتها في تلك الحالة الدنيا، فهي ليست اضعف عقلا أو اقل قدرة من الرجل ، و ليس هناك ما يدعى بطبيعة الأنثى أو طبيعة الذكر ، بل هيا حالة مصطنعة ، فالمرأة تعرضت لعبودية الرجل بسبب الأعراف و القوانين التي جعلت وظيفتها الزواج و تربية الأطفال¹. في حين أن المرأة لها الحق في ممارسة العمل السياسي في الانتخاب و التشريع ، فهناك رجال سياسة اقل كفاءة منها ، لهذا فلها الحق في المشاركة البرلمانية ، وهذه أهم الأفكار التي لخصها جون ستيوارت ميل حول المرأة حيث حاول تحريرها من قيود المجتمع و دمجها في المجتمع السياسي.

ب- الابيقورية:

تعد الابيقورية مذهب فلسفي مؤسسها "ابيقور"² بحيث يقوم هذا المذهب على إسعاد الذات بلذة معنوية لا يعقبها ألم³. فالموضوع الأساسي في فلسفة ابيقور الأخلاقية تتمثل في اللذة هي الخير الاسمي. فقد جعل من اللذة غاية الحياة.

لقد بدأت الجذور الأولى للمنفعة مع الفيلسوف ابيقور عندما أكد على ضرورة اللذات في حياة الإنسان الذي يبحث عنها بدافع الغريزة، و الغريزة هي منطق فلسفة ابيقور، بحيث اللذة

¹ جون ستيوارت ميل : استعباد النساء ،تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي ، ط1، القاهرة، 1998، ص14.

² ابيقور : هو فيلسوف يوناني قديم عاش في الفترة بين عامي (341- 270 ق . م) ،أسس فلسفية سميت باسمه و هي المدرسة الابيقورية.

³ جميل صليبا: المعجم الفلسفي ،نفس المرجع السابق،ص34.

هي التي تجلب السعادة للنفس و بهذا يقول ابيقور : "نحن نجعل من اللذة مبدأ السعادة و غايتها ، إنه أول خير نعرفه خير مغروز في طبيعتنا ،وهو مبدأ كل قراراتنا و شهواتنا و كراهيتنا و إليها نسعى دون انقطاع"¹، أي أن العاطفة هي القاعدة الأساسية في قياس الخير ، و يقر بان المعرفة الوحيدة التي تهمننا هي معرفة أسباب اللذة و الألم أي السعي للحصول على الأولى(اللذة)و النفور من الثانية(الألم).

تأثر جون ستيوارت ميل بالأبيقورية في كتابه "النفعية"، حيث بدأ ببيان حقيقة المنفعة ،و يقصد بهذه الأخيرة تبعا لأبيقور تحقيق اكبر قدر من اللذة و الابتعاد عن الألم، فيقول : "إن الذين لهم معرفة بهذا الموضوع يدركون أن كل كاتب من عهد ابيقور إلى بنتام ممن تبنى نظرية المنفعة، لم يقصد منها شيئا ما مقابلا للذة، بل قصد اللذة عينها في غياب الألم"².

ف نجد هنا أن ميل يرجع مذهبه إلى اليونان و إلى ابيقور بصفة خاصة ذلك انه من اطلع على تاريخية المذهب سيجد أن المذهب الذي تحول على يد ابيقور إلى مذهب في المنفعة لما رأى أن من اللذات ما يجلب الم فطالب باجتنابها ، و بالتالي فاللذة تساوي السعادة و الخير حسب ميل هو ضمان اكبر قدر من السعادة لأكثر عدد ممكن من الناس ، فالإنسان بطبعه يميل إلى اللذة و يتجنب الألم ، و يبحث عن المنفعة و يبتعد عن المضرة، و هذا يعني الأفعال التي تتولد عنها اللذة و المنفعة تعتبر أفعال خيرة، أما الأفعال التي تتولد عنها الآلام و المضرة فهي أفعال شريرة، و الدليل على ذلك قوله : "الأفعال تكون خيرة بقدر ما تتوق لتحقيق السعادة ،و تكون سيئة بقدر ما تتوق لإيجاد نقيض للسعادة ، و يُقصد بالسعادة اللذة و غياب الألم ،و يُقصد بالشقاء الألم و الحرمان من اللذة"³.

ومن خلال هذا نجد أن اللذة هي غاية الحياة السعيدة ، و يتأسس تصور ابيقور للسعادة على تصوره للإنسان ،باعتبار أن الإنسان جسد و نفس ، فإن سعادته تكمن في تحقيق

¹ عبد الرحمان بدوي: الأخلاق النظرية ، وكالة المطبوعات ، ط2، الكويت، 1975، ص243.

² جون ستيوارت ميل: النفعية ،تر: سعاد شاهرلي حرار، نفس المرجع السابق، ص35، ص36.

³ المرجع نفسه، ص37.

الخير الملائم لطبيعة كليهما و الخير الملائم لطبيعة الجسد هو اللذة. أما الخير الملائم لطبيعة النفس فهي السعادة و بالتالي فإن الابيقورية تهدف إلى أن مذهب المنفعة هو أسهل الطرق إلى الحكمة ،و تدور حول غابيتين أساسيتين هما اللذة و حالة الطمأنينة و السعادة ،و يؤكدون بأن كل لذة خير و كل ألم شر .

ج- الفلسفة الغربية:

بنثام جيرمي: يعتبر مؤسس مذهب المنفعة و الذي اكتمل على يديه ،و قد ذاع صيته في العصر الحديث ،فهو من أهم رواد المذهب النفعي ،بحيث استقى من أسلافه خاصة هتتشون عبارة : " توفير اكبر قسط من السعادة لأكبر عدد من الناس" ،و في هذا تأثر جون ستيوارت ميل فقد اتفق هذا الأخير مع أستاذه بنثام في اعتناق مبدأ المنفعة كقاعدة لكل سلوك وأضفى على المذهب تعديلات مكنته من ترك أثر بالغ في عصره.

وتبرير ذلك بقول وندريه دونر¹: " سوف أفحص و أدافع عن نظرية ميل في كتابه 'سيرة ذاتية' : جرى تثقيفي السابق كله على منهج بنتامي بمعنى من المعاني، و قد تعلمت دائما أن معيار السعادة الكبرى البنتامي هو ما ينبغي أن أطبقه ، بل كنت أيضا قد ألفت المناقشة المجردة لهذا المنهج الذي شكل قسما من حوار غير منشور في الحكومة ، كتبه أبي وفق النموذج الأفلاطوني لكنه عاد فانبثق أمام ناظري بقوة الجدة كلها من المصفحات الأولى من كتاب بنتام، و كان ما أثر في أكثر تأثيرا آنذاك الفصل الأول الذي يطلق فيه بنتام حكمه على أنماط التفكير في الأخلاق و التشريع، أنماط مستنتجة من عبارات " قانون الطبيعة" و " المنطق السليم" و " الحس الأخلاقي" و الاستقامة الطبيعية² .

نقاس اللذات في نظر بنتام إلى سبعة ظروف أو عوامل تمثلت في : الشدة ، المدة أو الديمومة ، اليقين، قرب المنال ، الخصوبة ، النقاء، و الامتداد و في هذا يوضح بنتام أن

¹ وندريه دونر: قانوني وأستاذ جامعي وقاضي هولندي.

² جون ستيوارت ميل: سيرة ذاتية ،تر: الحارث النبهان ، دار التنويه، ط1، بيروت، 2015، ص53.

غاية الإنسان جلب اللذة لذا وجب مراعاة شدتها و مدتها و إمكانية حصولها ، وكذا نقاؤها من الشوائب و تعميمها أو شمولها لأكبر عدد من الأفراد، و هنا نجد تأثير جون ستيوارت ميل بفكرة حساب اللذة الكمي لبنتام، حيث قام بتعديل على هذا المذهب بإضافته إلى حساب اللذات بالكيف، كما أن تقدير اللذات في نظر بنتام يرجع إلى من يستمتع و يتألم، فجاء ميل و أرجع هذا التقدير إلى الحكيم الكفاء فقال: " أن يكون المرء إنسانا شقيا أفضل من أن يكون خنزيرا راضيا ، و أن يكون مثل سقراط ساخطا خيرا من أن يكون أبله سعيدا ، وإذا كان الأبله و الخنزير مختلفين في الرأي فذلك لأنهما لا يعرفان غير وجه واحد من المسألة"¹. و بمعنى هذا أن ميل يوكل أمر الحكم على قيمة المنفعة للحكيم الأخلاقي الكفاء، إذ هو أقدر من غيره على الحكم .

كما تأثر ميل ببنتام حينما قال : " لقد وضعت الطبيعة البشرية تحت حكم اثنين من السادة هما : الألم و السرور، إنهما يشيران إلى ما نحن عليه وما يجب أن نفعل وكذلك لتحديد ما سنفعله من ناحية معيار الصواب و الخطأ"².

وعليه فإن أولى إسهامات ميل في الفكر السياسي قد تمركزت حول مراجعة بنتام لمذهب المنفعة بطريقة نقدية، فالإنسان بالنسبة لبنتام كائن معرض للمتعة و الألم، و سلوكه يتحدد بأشكال مختلفة الميل لمصالحه من جهة ، ومشاعره من جهة أخرى، ايجابية كانت أم سلبية ،لذلك حاول ميل إدخال تمييزات نوعية بين المتع ،حيث أن بعضها متع عليا بالمقارنة مع متع الجسد، لذلك يرى أن السعادة لا تتحقق عبر حياة ذات متع جسدية و دون ألم ،بل أيضا بالوصول إلى متع عليا ،حتى لو كلفت ألما أو تنازلات عن متع أدنى .

¹جون ستيوارت ميل : أسس الليبرالية ،نفس المرجع السابق ،ص47.

² Bentham Jeremy, *An Introduction to the principale of Morals and legclsation* , Batoche Books, Kitcener,2000,P14.

من هنا نستنتج مما سبق ذكره أن جون ستيوارت ميل استمد أفكاره من الفلسفات القديمة و الفلسفة الحديثة مع أستاذه بنتام لكن قام بتعديلات ليؤسس فلسفة خاصة به تميزه عن غيره في عصره.

جيمس ميل : عالم اقتصاد بريطاني و فيلسوف ، هو والد جون ستيوارت ميل ، ويعتبر من ابرز ممثلي مذهب المنفعة تميز بأرائه في علم الاقتصاد و السياسة ، وقد كان جيمس من اشد المعجبين ببنتام و بفلسفته، و كان له كتاب ضخيم في "تاريخ بريطانيا في الهند" بحيث هذا الأخير مهد له الطريق للحصول على وظيفة في شركة الهند الشرقية.

كانت إسهامات جيمس الرئيسية للمذهب النفعي في مجال علم النفس ، فقد حاول أن يفسر الظواهر الذهنية عن طريق التداعي و أن يرد كل صور التداعي إلى صورة الاقتران¹، و هذا ما جعل ابنه ميل يتأثر به تأثيرا بالغا ، فقد فسر ميل كيفية التغلب على اللذة الأنانية و تحويلها إلى الغيرية أو الجماعية عن طريق تطبيق مبدأ تداعي المعاني الذي قام به والده جيمس ميل، و في هذا يقول جون ستيوارت ميل: "كان كتاب أبي 'تاريخ الهند' من الكتب التي أسهمت كثيرا في تعليمي على أحسن وجه"² و هذا دليل على أن جون ستيوارت ميل كان متأثرا تأثيرا شديدا بأفكار والده خاصة فيما يخص مذهب اللذة.

غير أن جيمس في موضوع حق النساء في الاقتراع و التصويت في كتاب "مقال في الحكومة" قد أهان الأفكار الفلسفية الثورية الأخرى، باقتراحه استبعاد النساء من حق التصويت دون أن يترتب عن ذلك أية نتائج سيئة ، طالما أن مصالحهن مدرجة في مصالح رجال أسرهن ، و لقد أدى إلى مجالات عنيفة في حلقات المذهب النفعي ، فهذه العبارة لا

¹وليم كلي رايت : تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد ، التنوير للطباعة ، ط1، بيروت ، 2010، ص415.
²جون ستيوارت ميل : سيرة ذاتية ، نفس المرجع السابق، ص23.

يمكن قبولها من ابنه ميل، الذي رفضها و عارضها معارضة تامة مع أنصاره بما في ذلك بنتام¹.

و في الأخير نستنتج أن المنفعة و الأخلاق عند بنتام و جيمس ميل تعتبر المصادر الأساسية لأفكار جون ستيوارت ميل، فضلا عن تأثره ببعض الأفكار الاشتراكية و الفلسفة اليونانية.

2- مضامين فلسفة ميل:

أ- المنطق:

إنّ بحث ميل الفلسفي يكمن في منطقته، فهو يرى أنّ المعارف السياسية و الاجتماعية لكي تكون فعالة ينبغي أن نتصورها على ضوء المعرفة العلمية، ولا يمكن الوصول لتلك المعرفة إلا عن طريق مناهج صحيحة وواضحة، وذلك بفحص كل مناهج العلوم الطبيعية التي يكون فيها التفكير أكثر دقة، ويكون التقدم فيها أكثر سرعة لكي يحدد كيفية تطبيقها في ميادين العلوم الاجتماعية، أي الأخلاق، الاقتصاد، السياسية، و التاريخ، وعلم الاجتماع². وهنا يقصد ميل بمناهج العلوم الطبيعية الاستقراء وهو في رأيه يقوم على مجموعة من القواعد تذكرنا إلى حد بعيد بقواعد الارتباط السببي عند هيوم، لأن ميل تابع تراث هذا الأخير إضافة إلى فرانسيس بيكون و جون لوك، و هارتلي³. وهنا يتبين أن ميل كان في فلسفته مدينا لغيره بكل شيء تقريبا وتبين كل هذا في كتابه المشهور: "نسق في المنطق".

يرفض ميل المنطق الصوري الأرسطي بجملته، وليس فقط قياساته العميقة، قائلا: "إنه منطق الأنساق وإقامة البرهان، لذلك فهو استدلال ظاهري لا يتضمن أية إضافة، أما

¹سوزان مولر أوكين: النساء في الفكر السياسي الغربي، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة 2002، ص229، بتصرف.

²وليم كلي راية: تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة، ط1، بيروت، 2010، ص412.

³هارتلي: هو طبيب و عالم نفس و فيلسوف بريطاني.

بالنسبة للإنسان فإنه بحاجة إلى منطق يتعقب الحقيقة ويأتيه بمعرفة جديدة لن تكون إلا بالاستقراء".

إنّ العلم الذي يبحث في الاستدلال أو البرهان هو المنطق، ولما كان أي استدلال يود إلى الاستقراء إذن فالاستدلال والبرهان كلمات مترادفة عند ميل¹ أي أنّ الاستدلال التجريبي هو الاستدلال الوحيد الحقيقي، فميل يعتبر أنّ الاستقراء هو منطق العمل والتفكير وهو طريق، المعرفة الوحيد الذي يمتلكه الإنسان.

اتبع ميل خطوات الاستقراء الثلاث الملاحظة، الفرضية التجريبية، في البحث عن الحقائق و المعارف، وبين أنه إذا أيدته الوقائع التجريبية في الحاضر والمستقبل أستخلص صورة القانون العام، وهذا الأخير يفترض أساسين هامين هما: مبدأ إطراء الظواهر في الطبيعة، ومبدأ العلية².

من هنا وضع ميل كتابه الضخم "نسق المنطق 1843" حيث حدد بنى الاستقراء. فقد وضع الاستقراء خطوات ومناهج رآها جامعة لأساليب البحث العلمي و التجريبي و لطرق التفكير تتمثل في:

1- **منهج الاتفاق:** وينص أنه إذا اشتركت حالتان أو أكثر في الظاهرة، في أمر واحد، فإنّ هذا الرأي تنفق فيه وحدة جميع الحالات هو علة الظاهرة.

2- **منهج الاختلاف:** وينص على أنه إذا كانت هناك حالتان تبدوا الظاهرة في إحداها ولا تظهر في الأخرى، وكانتا تشتركان في جميع الأمور سوى أمر واحد تنفرد به الحالة التي

¹محمود فهمي زيدان : الاستقراء و المنهج العلمي ، دار الجامعات المصرية، دط، الإسكندرية ،1977، ص74.
²المرجع نفسه، ص74.

تبدو فيها الظاهرة فإنّ الأمر الذي تختلف فيه الحالتان المذكورتان هو علة الظاهرة أو نتيجتها أو جزء ضروري من سببها¹.

3- **منهج الجمع بين الاتفاق و الاختلاف:** هو منهج يجمع بين الطريقتين السابقتين، فيكون أكثر فاعلية من أيهما على حدى أنه محاولة التحقق من ظهور المعلول بظهور العلة، و اختفائه باختفائها².

4- **منهج البواقي:** وهو منهج استبعاد قبلي لجملة الظروف الحاضرة التي تعلم بناء على استقرارات سابقة، إنها عاجزة عن إحداث المعلول الذي نبحث عن علته³، أي أنه منهج التكهن بالعلة استنتاجا من فحص مؤقت يحتوي ظاهرة واحدة بقي علينا أن نفسرها، ووجد بعض النقاد أن لا داعي لمنهج البواقي لعدم وجود فارق بينه و بين منهج الافتراق فأسقطوه وأقاموه منهج مستقلا.

5- **منهج التلازم في التغير:** وهو منهج يعني الكشف عن العلاقة الكمية بين العلة و المعلول أي التناسب الطردي بين شدتهما، لذلك فهو أدق المناهج لأنه منهج التكميم.

وقد حاول ميل أن يبين في كتابه "مذهب في المنطق" أنّ:

- القضايا الضرورية قضايا لغوية صرف.

- الاستدلالات التقليدية المباشرة ظاهرة فحسب وليست حقيقية.

- القياس باعتباره استدلالا من مقدمات إلى نتائج هو أيضا مجرد استدلال ظاهري.

- القياس هام على أساس توكيده للمقدمة الكبرى أو الكلية.

¹ محمد عابد الجابري : مدخل إلى فلسفة العلوم ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ،بيروت ،1979، ص282.

² يمنى طريف الخودلي: فلسفة العلوم في القرن العشرين (الأصول، الحصاد، الأفق المستقبلية) ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،دط، القاهرة، 2014، ص138.

³ إميل برهية : تاريخ الفلسفة (الفلسفة الحديثة 1850\1945) ، تر: جورج طرابشي، ج7، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1984، ص14.

- توكيد قضية كلية على أساس بنية خاصة يعد استدلالا حقيقيا ومن ثم فإن الاستنباط الخالص ليس استدلالا حقيقيا، أما الاستقراء فهو استدلال حقيقي.

- مبادئ الرياضة استقرائية تعتمد على الملاحظة.

- أننا نستطيع أن ندعي في بعض الحالات ادعاء صادقا في أننا نعرف قضايا كلية تقوم على الاستقراء¹.

ومن خلال هذا فإن ميل يصرح بأن القياس ليس إلا مصادرة على المطلوب، إنها لا تخرج عن أحد أمرين، أولهما أن تكون معروفة قبل المقدمة التي تتضمنها وعندئذ يتعذر وضع المقدمة الكبرى، من هنا رأى أن القياس استنتاج جزئي من كلي، كما أنه ميز بين الاستدلال المنطقي و الاستدلال الواقعي، إذ أن الاستدلال المنطقي لا يقدم بحسب رأيه أي معلومات واقعة عن العالم.

ب- المعرفة:

لقد حاول ميل في ميدان نظرية المعرفة أن يعرض وجهة النظر التجريبية النفسية في طابعها المنطقي الخالص، وأهم مؤلفاته التي قدم فيها هذا العرض بطريقة شاملة هو كتابه الفلسفي الثاني: "اختبار لفلسفة السير وليام هاملتون"²، وبعد هذا الأخير المؤلف الرئيسي للتجريبية الحديثة في نظرية المعرفة مثلما كان كتاب "تحليل ظواهر الذهن للعقل الإنساني" لجيمس ميل مؤلفه الرئيسي في علم النفس، غير أن مذهبه في المعرفة أقل من أهميته الفلسفية بكثير من مذهبه في المنطق، وسبق أن استغله استغلالا كاملا ممثلو التجريبية الكلاسيكيون الذين انتفع ميل نفسه من أبحاثهم.

¹ جون تال ري، وج، أو أرسون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013، ص337.

² هاملتون: هو عالم الإنسان و دبلوماسي و علم آثار، ومن مملكة بريطانيا العظمى و تولى منصب عضو مجلس الشعب في برلمان بريطانيا العظمى.

إن الطابع الغالب عليه في هذا الميدان هو العودة إلى الأفكار القديمة لبركليس¹ و هيوم. وعلى الرغم من أنه توصل إلى بعض الصيغ الجديدة، فإنه لم يصنف إلى المعرفة إضافة حقيقية، و تتلخص وجهة نظره في القول بصيغة محددة بدقة للمذهب الظاهري، الذي كانت أهم تعاليمه هي تلك المتعلقة بطبيعة المادة و الذهن، يتوصله إلى حل لمشكلة العالم الخارجي أو المادة وذلك في صيغته المشهورة "الإمكانات الدائمة للإحساس"².

إنّ المصدر الوحيد لميل و النهائي للمعرفة هو الإحساسات فنحن لا نستطيع أن نعرف أشياء في ذاتها، ويمكننا أن نفسر اعتقادنا في الوجود المستمر للموضوعات الخارجية تفسيراً سيكولوجياً، دون أن تدخل في تأملات ميتافيزيقية فيما يتعلق بالطبيعة الحقيقية للعالم المستقل عن إحساساتنا، مثل ذلك: أني أرى ورقة بيضاء على منضدة ثم أنتقل إلى حجرة أخرى أني انقطعت عن رؤية الورقة، فإنني موقن أنها ما تزال في موضعها، وذلك لأن باستطاعتي أن أدرك ظواهر معينة متى أدركت ظاهرة لها في تجربتي وهذا يسمى شيئاً أو جسماً³.

وهذا يعني أن المرأ عند حديثه على المنضدة معناه أنه يتحدث عن ترتيب من هذا النمط للإحساسات الممكنة، فمیل هنا لا يبذل أية محاولة لجعل هذا الإمكان على أساس جوهر خارجي فعلي، وإنما يعترف بأن هناك تتابعات أخرى من الشعور إلى جانب تلك التي تكون شاعرين بها، فنحن في مقابل إحساساتنا الحاضرة نضع إحساسات ممكنة، وهذا ما يجعلنا نتصور الجوهر أنه موضوع من الواقع، كذلك يعترف ميل بعدم تفسير تذكر الماضي و توقع المستقبل فإنهما يفترضان بقاء الذي يتذكر و يتوقع، إذ لا يعقل أن سلسلة الظواهر المدركة تدرك نفسها بما هي ماض و مستقبل.

¹بركليس: رجل سياسي محنك و خطيب بالغ، و قد أصبح صاحب السلطة العليا على جميع قوى أثينا المادية و الروحية في خلال عصره

²رودولف ميتس: الفلسفة الإنجليزية في مائة عام، تر: فؤاد زكريا، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص73.

³يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، نفس المرجع السابق، ص365، ص366.

ثم إن التجربة ترينا توليات بين هذه المجاميع من الواقع، وهذا ما يسمى بالعلية، فمجموعة وقائع النار الموضوعة أمام الشمع مثلا تتلوها مجموعة انصهار هذا الشمع، وعلى هذا النحو ندرك أن الإمكانيات للإحساس أكثر واقعية من الإحساسات الوقتية العابرة، وهذا يقضي بنا إلى تصور وجود جواهر يتألف منها ما نسميه العالم الخارجي¹.

من هنا نستنتج أنه إذا ارتقينا من ميدان المعرفة بالمعنى الحقيقي وجدنا العمليات الثلاثة الرئيسية للفكر وهي التصور، الحكم و البرهان، وبما أن ميل فيلسوف تجريبي فإنه يؤمن بأن المعرفة البشرية بأسرها ترتد إلى قواعد تجريبية و مبادئ حسية.

¹ عبد الرحمن البدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج1، ط1، الكويت، 1984، ص469.

خلاصة الفصل:

لقد قمنا في هذا الفصل بالإشارة إلى الفيلسوف جون ستيوارت ميل ، و الوقوف على أهم أفكاره و ابرز مؤلفاته.

فمن خلال ما تطرقنا إليه نستنتج أن جون ستيوارت ميل تميز بفكره الفريد من نوعه و ذلك لتأثره بوالده و العديد من الفلاسفة، و الأثر الذي تركه والده و أستاذه بنتام جعله يتمم ما تركوه من نظريات في المنفعة ، إذ تعتبر هذه الأخيرة مجموعة من الركائز التي استند إليها في فلسفته، و تعد المصدر الأول الذي استقاه من فلاسفة اليونان ، بحيث أخذ ما يلائم أفكاره و انتقد كل ما هو معارض للتطور الإنساني .

الفصل الثاني: الفكر السياسي عند جون ستيوارت ميل

المبحث الأول: التأسيس التاريخي لليبرالية والأسس المبنية عليها.

1- التأسيس التاريخي لليبرالية.

2- أسس الليبرالية.

المبحث الثاني: الحرية عند جون ستيوارت ميل.

1- المرأة.

2- الحرية.

المبحث الثالث: مذهب المنفعة عند جون ستيوارت ميل.

1- المنفعة ومبدأ الإلزام الخلفي.

2- المنفعة و مسألة العدالة.

تمهيد :

لقد تطورت السياسة على يد العديد من المفكرين و الفلاسفة ،بحيث تم النظر إليها كل حسب رأيه، و لعل من ابرز الأسماء التي أثرت تأثيرا بالغا في تأسيس الفكر السياسي الحديث نجد جون ستيوارت ميل ،بحيث يعتبر هذا الأخير رمزا من رموز الفكر السياسي، و في بحثنا هذا سنتطرق على أهم المواضيع التي عالجها ميل في السياسة و سنتوقف على ابرز النقاط التي شكلت الفكر السياسي عند هذا الفيلسوف.

المبحث الأول: التأصيل التاريخي لليبرالية و الأسس المبنية عليها عند جون ستيوارت ميل

لكل مذهب من المذاهب أسسه الفكرية و مميزاته الخاصة التي تميزه عن غيره من المذاهب الأخرى ، و التي تحدد و توضح الركائز الكبرى ، التي يقوم عليها هذا المذهب ، و من بين هذه المذاهب التي تشهد اليوم دراسة كبيرة و حضور بارز على الساحة الفكرية نجد المذهب الليبرالي ، و في هذا المبحث سنتعرف على المذهب الليبرالي عند الفيلسوف جون ستيوارت ميل و أهم أسسه.

1- التأصيل التاريخي لليبرالية:

تميزت الليبرالية بتنوع اتجاهاتها الفكرية ، إذ يجري الحديث عن ليبرالية سياسية ، و ليبرالية اقتصادية و أخرى اجتماعية ، إلا أنها جميعا تؤكد على الحرية تبعا لتنوعها ، فمن الباحثين من يرجع الليبرالية إلى العصور القديمة بالتحديد فكر السفسطائيين. ، و لاحظ عدد آخر من الباحثين في بداية القرن الثاني عشر تكونت في ايطاليا أنظمة سياسية مبتعدة عن النظام الإمبراطوري و نظم اقتصادية بعيدة عن الإقطاع، و تم تقسيم الأراضي الايطالية بين المدن و بات الاعتراف بسلطة المدينة أمر واقع لا يستطيع احد الاعتراض عليه، فوجد هذه الدول حولت نفسها إلى جمهوريات مستقلة و قد كانت تواقفة للحرية¹.

في الحقيقة كان ميلاد الليبرالية في القرن السابع عشر مع جون لوك إضافة إلى جون ستيوارت ميل في القرن التاسع عشر ، و هما الأساسيان اللذان وضعوا الأفكار المولدة للنظرية ، و أهم نقلة في الموضوع هي النقلة من نظرية أفلاطون إلى النظرية الليبرالية ، فنظرية أفلاطون تقوم على مفهوم المجتمع ، و قد بناها كتابه الجمهورية ، أما الليبرالية فقد

¹طلال حامد خليل : المرتكزات الفكرية لليبرالية دراسة نقدية ، دفاثر السياسة والقانون، العدد 15 ، جوان 2016، جامعة ديالى ، العراق، ص154.

قامت على فكرة الفرد ، و هذا تحول من مفاهيمية المجتمع بوصفه كتلة إلى الفرد، فالليبرالية في بداياتها تتجه إلى صناعة الفرد الحر¹.

لهذا فان الجذور التاريخية لليبرالية في الحركات التي جعلت الفرد غاية بذاته ،معارضة في كثير من الأحيان التقاليد و الأعراف و السلطة ،رافضة جعل إرادة الفرد مجرد امتداد لإرادة الجماعة، و رغم أن الليبرالية كإيديولوجية هي ظاهر حديثة نسبيا ،فان بعض تباشيرها تظهر عند ديمقراطي أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد ، و عند الرواقيين و في المراحل الأولى من المسيحية ،ثم في حركة الإصلاح البروتستانية ، و في خطبة بركليس الشهيرة ، التي أبن بها شهداء أثينا الذين سقطوا في بداية الحرب ضد إسبارطا، كذلك فان بروتاغورس جعل الفرد مقياس كل شيء و شارك ديمقريطس² قناعته بان القوانين و المؤسسات من صنع الإنسان و هو بالتالي مسؤول منها ، و يبقى سقراط في حياته و تعليمه نموذجا فذاً للإيمان بقدرة العقل و أهميته ، و ضرورة إخضاع معتقداتنا للنقد و التدقيق في جو من الحرية و الانفتاح³.

من هنا يمكن القول إن الليبرالية في أصلها و نشأتها ،هي مذهب فكري غربي ،ولد و نشأ في الغرب في القرن السابع عشر في إنجلترا و في أواخر القرن الثامن عشر في فرنسا، إذ شهدت أوروبا خلال القرن التاسع عشر انهيار النظام الإقطاعي مع انتشار مجموعة المبادئ التي نادى بها الكثير من الفلاسفة ، و التي كان الهدف منها إقرار الحريات للشعوب.

2- أسس الليبرالية:

نجد جون ستيوارت ميل دعى لليبرالية في القرن التاسع عشر، وهو عماد من أعمدة الفكر الليبرالي السياسي و الاقتصادي وهذا ما سيتم تناوله في الآتي:

¹ عبد الله محمد الغدامي: الليبرالية الجديدة (أسئلة في الحرية والتفاوضية الثقافية)، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب 2013، ص118.

² ديمقريطس: فيلسوف يوناني و كان احد الفلاسفة المؤثرين في عصره قبل سقراط و الذي صاغ النظرية الذرية للكون.

³ معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج2، معهد الإنماء العربي، ط1، (د.ب)، 1988، ص115.

إن الفكر الليبرالي يعتبر من الاتجاهات الفكرية التي نجحت في اعتماد مرتكزات وأسس تمثلت في الحرية الفردية و العقلانية.

أ- الحرية: تعتبر الحرية جوهر الكائن البشري و هي غاية الوجود الإنساني و شرط لتحقيق الكمال والخلق الذاتي للحصول على مشروعية الفعل الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي، وحينما توفرت أجواء خاصة بالحرية يسود فيها التفاهم و الاعتبار المتبادل والثقة المتحققة بين الأفراد حكما و محكومين، انعدم بذلك الإحساس بالظلم و التفرقة العنصرية و الاستبداد.

وقد ظهر مفهوم الحرية الأول فهم سلبي يؤمن بأن الحرية هي غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان في فعل ما يريد، وبهذا يصبح معيار هامش الحرية الموجودة في المجتمع ما هو العوائق التي تضعها السلطة السياسية لتمنع الفرد من فعل ما يشاء، فإن زادت العوائق قلت الحرية، وإن قلت العوائق زادت الحرية، أما الفهم الثاني فهو فهم إيجابي يؤكد دعائه على أن غياب العوائق الخارجية غير كاف لتتوفر على الحرية، لأننا إذا كنا عبيد للمنافع الخاصة وللرغبات و الأهواء فإننا لن نكون أحرار، بل نكون أحرار عندما نعبر عن المنفعة العامة أو الإرادة العامة¹، أي أنه لا مانع عند أصحاب الاتجاه الإيجابي من تدخل الدولة في المصلحة العامة للأفراد في حدود لا تؤثر على حرياتهم، و بالتالي يكون الفرد سيد نفسه مستقلا بذاته قادرا على تنمية مهاراته ومواهبه، والوصول إلى الإنجاز و الرضى، وعليه تعد الحرية أولى أسس الليبرالية، فالليبراليون يتفقون بالإجماع على كون الحرية شرط أساسي في المجتمعات: حيث يمنحون الفرد الحق في حرية التعبير و الرأي و الملكية و التمتع بالحقوق و الحياة وهذا ما نجده راسخا في تعاليم الليبرالية.

إن الحرية عنصر أساسي في الديمقراطية الليبرالية، ولا يمكننا أن نتخيل البناء الديمقراطي الليبرالي بدون حرية، لذلك مجدها الليبراليون الأوائل من أمثال فلاسفة العقد الاجتماعي

¹ إيزايا برلين: نفس المرجع السابق، ص39، ص47.

(توماس هوبز، جون لوك، جون جاك روسو¹)، إضافة إلى الليبرالي جون ستيوارت ميل، وأصبحت في فترة قصيرة شعارا لكثير من الأنظمة و الدول الديمقراطية الليبرالية التي جعلت منها قيمة أولية من مجموع نظامها.

ب- الفردية:

مصطلح يستخدم لوصف كل فكر أو سلوك من شأنه أن يمنح الفرد قيمة جوهرية تتفوق على قيمة المجتمع. مما يعني أن الفردية هي تفضيل القيم الفردية الشخصية على القيم الجماعية اللاشخصية، وعلى هذا الأساس تكون الفردية السياسية فكر أو أسلوب يتبنى مثلا سياسيا أعلى، قوامه الإيمان بالمبادرة الفردية وممارستها و تطويرها بعيدا عن تدخل الدولة، مما يقضي إيمانه بتقليص وظائف الدولة إلى أقصى حد ممكن، وفي هذا الصدد أكد ميل من قبل الفردية تقود الليبرالية كما لو كانت تقود لمصاحبها العملي الحتمي، لأن الليبرالية التقليدية تجد المبادرة الفردية أساس لكل نشاط².

وبهذا فالفردية هي الركيزة الأساسية للحرية فهي تعني استقلال الفرد و حريته، وقد جاءت في معنيين الأول تعني الفردية الأنانية و حب الذات، والثاني استقلال الفرد من خلال العمل و الاعتماد على النفس، وهذا ما نجده في البراغماتية، وهذا ما اتصف به الفكر الحديث خاصة عند جون ستيوارت ميل.

¹جون جاك روسو: كاتب و أديب و فيلسوف و عالم نبات جنيفي، بعد من أهم كتاب عصر التنوير، ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية و التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية حيث أثرت أعماله في التعليم و الأدب و السياسة.
²عبد الرضا حسين الطعان: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، ج2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، دبت، ص21، ص22.

ج- العقلانية:

هو مذهب فلسفي يعتمد على التمسك بالعقل كمصدر للمعرفة، وكمبدأ يحكم الفعل الإنساني، و يعرف إدغار موران¹ العقلانية قائلًا: "هي أولاً تقصي من الواقع اللامعقول، وما لا يتوافق مع العقل، و العقلانية ثانيا هي تصور أخلاقي يؤكد أن الأفعال و المجتمعات الإنسانية ينبغي أن تكون عقلانية في مبدئها و مسلكها و غايتها"². من هنا نفهم أن العقلانية تعني اعتماد الفرد على عقله للوصول إلى جميع المعارف و المنافع، وعليه فإن هذا الأساس يخالف ما كان سائدا في العصور الوسطى، ويطلق العنان للعقل الذي كان مقيدا آنذاك، وبهذا يعد العقل هو المصدر الأول للمعرفة و مصدر الوصول للمنافع.

إن العقلانية من مكونات الليبرالية بالمفهوم المتقدم، فقد ربط الليبراليون السياسة و الاقتصاد بالعقلانية. فالدولة تتكون بالعقد الاجتماعي المنظم للحقوق، و الحريات و الحفاظ عليها.

وبهذا فإن هذه الأسس المقدمة دليل على أن الحرية جوهر الليبرالية، وفي الوقت نفسه آلية عملها، و الفردية تمثل الأساس الفلسفي للمفهوم الليبرالي بوصفها البنية الأساسية التي أخرجت الليبرالية إلى حيز الوجود، في حين أن العقلانية تشكل الحارس على اختيارات الإنسان الليبرالي لإدراك المصالح و المنافع، وإصدار الحكم عليها دون الحاجة لقوى خارجية.

¹ إدغار موران: فيلسوف و عالم اجتماع فرنسي، صاحب نظرية التعقيد و الفكر المركب، يعرف بتأييده للقضايا الإنسانية العادلة بينها القضية الفلسطينية.

² محمد سبيلا، موح الهرموزي، نفس المرجع السابق، ص 346.

المبحث الثاني: الحرية عند جون ستيوارت ميل

باعتبار أن جون ستيوارت ميل من رواد الفلسفة التجريبية فإنه حاول البحث في فروع الفلسفة و الأخلاق، و الاقتصاد كما أنه أعطى أهمية كبيرة لموضوع الحرية، ولقد بين كل هذا في كتابه " عن الحرية" الذي يعد أحد أعمدة الفلسفة السياسية الليبرالية و الفلسفة السياسية عموماً.

1- المرأة:

لقد مد ميل أفكار أسلافه الليبراليون لأقصى حد متجاوزاً طموحاتهم المتواضعة أحياناً، مصرحاً بأن المبدأ الذي ينظم العلاقات الاجتماعية بين الجنسين أو الإخضاع القانوني لجنس لصالح آخر مخطئ في ذاته، وهو يشكل أحد العوائق الرئيسية التي تحول دون تقدم البشرية، و يتعين أن يستعاض عنه بمبدأ المساواة الكاملة¹. و بهذا فإن من الإيجابيات التي تسجل على أفكار ميل هي:

- أن جهود ميل لم تذهب هباء منثوراً، فقد تأسس تيار مناصر لأفكاره نجح استمالة الرأي العام الإنجليزي، وتمخض عن ذلك موافقة مجلس العموم البريطاني على حق التمثيل النيابي للنساء سنة 1867، وأعطيت حق التصويت في الانتخاب أعضاء مجالس التعليم و حرية التصرف في ممتلكاتها سنة 1870، بالإضافة إلى انتخاب أعضاء مجالس الأقاليم سنة 1888 و في سنة 1895 سن قانون الطلاق الذي جعل من حق النساء طلب الانفصال عن أزواجهن و في سنة 1894 صدرت قوانين تشريعية جديدة أنهت كل أثر لتفضيل جنس على آخر في مسألة الانتخاب، كما ظهر تأثير الكفاح النسوي البريطاني في القارة الأوروبية واضحاً للعيان، ففي بدايات القرن العشرين اتجه التشريع من ناحية التشريع إلى ناحية العمل على استقلال المرأة بدمتها المالية و مساواتها بالرجل، وتم إلغاء القوانين التي تتعامل مع

¹أمين حمزاوي: الجنور الليبرالية للفلسفة النسوية، 19 ديسمبر 2019، الجمهورية، متاح على الرابط:
<https://www.aljumhuriya.net/ar/content>

المرأة كإنسان قاصر و ناقص الأهلية في جميع الدول. وبهذا فإن كتاب " استعباد النساء" احتل مكانة مرموقة في الأدبيات النسوية الكلاسيكية، حيث حاول ميل تفسير الأصول التاريخية و الاجتماعية لاستعباد النساء بشكل جذري ادعاءات حول اختلاف طبيعة المرأة عندما كانت في عبودية تامة التي جعلها في الرأي الشائع غير مؤهلة لنيل حقوقها كاملة أو تولي أدوار ووظائف معينة.

المرأة من منظور ميل:

لقد كان موضوع المرأة مصدر اهتمام العديد من الفلاسفة باعتبارها عنصر فعال ومهم داخل الأسرة، ومن بين هؤلاء الفلاسفة نجد جون ستيوارت ميل الذي تناول حرية المرأة و إعطائها كامل حقوقها، فنجده يعترف منذ البداية في كتابه " استعباد النساء" صعوبة مناقشة قضية المرأة أو الحديث عنها، فهي تتلخص في إدانة المبدأ الذي ينظم المجتمعات القائمة بين الجنسين، والكشف على أنه مبدأ فاسد من جذوره، لأنه يقوم على أساس تبعية أحد الجنسين "النساء" للجنس الآخر "الرجال". وهو مبدأ يجب هدمه ليحل محله مبدأ المساواة الكاملة التي لا تسمح بوجود ميزة لجانب على آخر، وفي هذا يقول: "المبدأ الذي ينظم العلاقات الاجتماعية بين الجنسين (الذكور و الإناث) ويجعل خضوع أحد الجنسين للآخر عملاً مشروعاً، هو مبدأ خاطئ في ذاته، كما أنه يمثل عقبة أمام التقدم البشري، ومن ثم ينبغي أن يزول ليحل محله المساواة الكاملة، الذي لا يسمح بوجود سلطة أو ميزة لجانب على جانب آخر"¹.

وفي ضوء هذا ناضل ميل حتى تسترد المرأة حقوقها الاجتماعية و السياسية فطالب المجتمع بأن يهيئ لها أسباب التعليم و التربية التي تتاح للرجل، وأن يمكنها من مشاركته في أعماله، و يمنح لها من حقوق الملكية ما يمنح للرجل و يكفل لها حقوقها السياسية كاملة غير

¹زكريا محمد علي: إيديولوجيا الحركات النسوية، 14\09\2016، 22:15، متاح على الرابط:
[https://www.sasapost.com/opinion/ideological/feminism.](https://www.sasapost.com/opinion/ideological/feminism)

ناقصة، فهو طالب بحرية التملك بالنسبة للمرأة وكان من أكثر المدافعين عنها، لدرجة أن كثير من النساء كانوا يساندونه و أغلبهم من مؤيديه، وكان يطالب بحق التصويت و التشريع للمرأة، لأنها في تلك الفترة كانت مضطهدة ولم يكن لها لا حق التملك و لا أي عقار و ملكية أو أي دور آخر، بل دورها في انجلترا وقتها كان لخدمة بيتها و زوجها و أولادها وكان ميل بهذا من أعظم الرواد الذين مهدوا الطريق إلى هذا التحرر.

2- الحرية:

بفضل آراء ميل وصلت الليبرالية الإنجليزية إلى ذروة نضجها الفكري، وهو نضج تمثل في الحد من دور المكانة الاجتماعية و الثروة و الجنس (العرق) في الحياة السياسية، تطبيقا بالطبع لمبدأ المساواة الكاملة بين البشر، وقد كانت النتيجة المباشرة لأفكار ميل هي نقل مركز الثقل و التأثير إلى الشعب مع ما يتبع ذلك من استمتاع الجميع بالحرية و المساواة، و في نفس الوقت فإن الحريات الجديدة المتزايدة اتجهت إلى التقليل من شأن السلطة الأخلاقية سواء ذلك التي يمارسها رجال الدين أو تلك التي يفرضها الرأي العام أو حتى الآباء باعتبارها جميعا مؤسسات تمارس أحكاما سلطوية تقنن السلوك الفردي¹.

من خلال ما عرضه ميل في الحرية فإنه نظر لها باعتبارها أهم الحقوق الإنسانية، ولذلك فإنه من الضروري حماية و صيانة الحريات الإنسانية و الحفاظ على استقلالية الأفراد وخاصة حرية التعبير و الفكر و العقيدة، مع وجوب وضع حدود لعدم انتهاك هذه الحريات سواء من قبل الحكومات أو المجتمع، فحين تحدث ميل عن أهم الحريات و الحقوق، ذكر حرية الفكر و المناقشة و حرية التعبير و بين كيف أنها تعد من أهم الحريات نظرا لدورها في الازدهار العقلي للإنسان وتطورها.

¹ضحى عبد القادر المغازي: دورة حياة مشروع الشرق الأوسط الكبير تجربة أنثروبولوجية اعلامية مصرية، ج1، أطلس للنشر و الإنتاج الإعلامي، ط1، مصر، 2018، ص175.

كما أن من الإيجابيات التي لوحظت في أفكار ميل، هي أن تفكيره تطور من مذهب المنفعة الكلاسيكية إلى مراجعات أكثر اكتمالا للنفعية، حيث تقدم أطروحات تجيب على الأسئلة الكبرى الكلاسيكية حول الحكم الصالح و التمثيل السياسي، وهي إجابات ذات تأثير كبير على النظريات السياسية اللاحقة، بحيث ساهمت في بناء مفهوم عام عن الإنسان بكونه قادرا على انجاز تنمية متناسقة متأسسة على مجتمع حر و متعلم¹.

إن الحرية الشخصية التي نادى بها ميل في المذهب الليبرالي جعلها مرادفة للحقيقة، جعل الحكومة التمثيلية هي الظل الذي يلجأ إليه الأقليات المضطهدة في ظل الأغلبية المتسلطة، فالديمقراطية الصحيحة هي الديمقراطية الممثلة من قبل الكل لأنه تماشيا مع الظروف العصبية سيدعى الكل إلى الانضمام و المشاركة ضمن فريق واحد حين يتهدد بلدهم بالمخاطر، إضافة إلى أنه جعل حرية التعبير عن الرأي وقداسة حقوق الفرد فوق كل اعتبار، ومن مسؤولية السلطة تهيئة السبل الكفيلة بصيانتها و ضمانها.

وعليه فالنقاط الأساسية المهمة في فكر ميل هي الحرية و الديمقراطية، والدليل على ذلك أن بعض أفكاره مازالت قيد الاستخدام ولو بشكل غير مباشر في الفكر السياسي المعاصر، فهو كان متيما بالحرية ومدافعا لها و مؤمن بأنها حق طبيعي يخص الفرد بحيث فطر عليه، وبذلك تعد الحرية ملكا لجميع الناس وهي في نظر ميل مؤسسة للحضارة، وهذه الأخيرة تنطفئ شعلتها عندما تغرب الحرية.

إن التحول الذي أدخله ميل إلى المفهوم الليبرالي للحرية الفردية شكل قاعدة لإعادة تأهيل جزئية للديمقراطية ببعدها الأخلاقي كالمجتمع الذي يصبو للخير العام ولسعادة الجميع، مجتمع يسمح بتنمية أفضل لطاقة كل فرد، من خلال احترام المساواة في الفرص ومبدأ الديمقراطية القائمة على الكفاءة بشرط إعادة تعريف الحرية ليس على أنه حق مجرد وإنما

¹بابلو سيمون: الديمقراطية عند جون ستيوارت ميل، تر: مصطفى أبو شمس، ياسين السويحة، الجمهورية، 2014\07\08، متاح على الرابط: <https://www.aljumhuriya.net/ar/29588>

على أنها العنصر الأساسي للوصول إلى السعادة و بهدف تحقيق الذات، و الفردية على أنها تحقيق لاجتماعية الفرد، وتصبح الديمقراطية بذلك النظام الأنسب لتحقيق القيم الليبرالية و التعبير عنها¹. إذن فالفكر الاجتماعي لجون ستيوارت ميل وانسجامه مع الاشتراكية في آخر حياته، ودفاعه عن الحركة التعاونية، سيحدث تأثيرا بالغا على الليبراليين الجدد، حيث تثبت كتابات ميل الأثر البارز في تطور الاشتراكية وبضرورة إيجاد ليبرالية جديدة أكثر اجتماعية وأكثر وعيا لضرورات التضامن و العدالة و المساواة في عالم متغير.

¹كاترين أودارد: الليبرالية الجديدة...التطور التاريخي لليبرالية الكلاسيكية، تر: ميشال أبو سماحة، 2013\07\03، متاح على الرابط: <https://www.lebanese-rosces.com>

المبحث الثالث: مذهب المنفعة عند جون ستيوارت ميل

1- المنفعة و مبدأ الإلزام الخلفي:

إن ميل لا يخالف بنتام في القضية المنهجية الأساسية التي تحكم مصدر الإلزام الأخلاقي المتمثلة في الغرض النافع المسبق خاص كان أو عام، و بين هذا من خلال قوله: "أنا اعتبر المنفعة هي النداء النهائي في كافة القضايا الأخلاقية، و لكن لا بد أن تكون المنفعة هي المفهوم الأوسع مبنية على المصالح الدائمة للإنسان"¹.

فمبدأ المنفعة يحتوي على الجزاءات الموجودة في أي مذهب أخلاقي آخر، و هذه الجزاءات إما داخلية أو خارجية، فالجزاءات الخارجية تتمثل في التقدير من الآخرين أو الخوف منهم أو من الله، أو التعاطف معهم، و الواقع أن هذه الدوافع تشير إلى طلب السعادة العامة، فإذا كان الدافع دينياً تواصلوا فيما بينهم أن يكون سلوكهم وفقاً لما يرضي الله، متضمناً نشر السعادة العامة، و من اتخذ مبدأ المنفعة معياراً لسلوك الفرد، استمد الإلزام من المبدأ ذاته، سواء كان الإلزام ناشئاً في الحالتين عن الدافع أو المبدأ، فالغاية واحدة، و من هنا يمكن القول أن الأخلاق النفعية تفرض نفسها لأنها استقت إلزامها بما هو نابع عن الجزاءات الخارجية².

أما الجزء الداخلي أو الباطني فهو شعور بداخلنا أي يتمثل في الضمير الذي يجعلنا نتألم عندما ننتهك الواجب، و الضمير لا يمكن تجاهله لأنه ظاهرة ترافقها ارتباطات نفسية مستمدة من المشاركة الوجدانية و من الحب و الخوف، إضافة إلى جميع أشكال الشعور الديني و من ذكريات الطفولة و كل حياتنا الماضية، و احترام الذات و الرغبة في احترام الآخرين، و في هذا يقول ميل: "اعتقد أن هذا المركب البالغ التعقيد هو مصدر ذلك النوع

¹ جون ستيوارت ميل: عن الحرية، مصدر سابق، ص 16.

² جون ستيوارت ميل: أسس الليبرالية، نفس المرجع، ص 68.

من الطابع الصوفي، الذي يمكن على سبيل المثال أن ينسب إلى الإلزام الخلقي¹، أي أن التركيب المعقد من الوجدانات هو الذي يخضع على الضمير هذا الطابع الملزم، و يصاحب الفاعل شعور الندم عند كسر مقاييس الصواب التي يقتضيها الإلزام للعناصر الجوهرية الأصلية للضمير، و في هذا الصدد يقول: "أنني لا أرى حرج لأولئك الذين اتخذوا من المنفعة معيارا لهم².

يعترف ميل بأنه ليس لهذا الجزاء أي الضمير و تأتية تأثير إلزامي لأولئك الذين لا يمتلكون المشاعر التي يناشدها هذا المقياس، غير أن مثل هؤلاء الأشخاص لن يكونوا أكثر طاعة لأي مبدأ أخلاقي آخر غير المبدأ النفعي، و لا يمكن لأي نوع من الأخلاق أن يسيطر عليها إلا بواسطة الجزاءات الخارجية أي العقوبات القانونية .

كما يستثني ميل أصحاب المشاعر الحية الذين جعلوا الجزاءات الخارجية مقياسا ترتد إليه أفعالهم و قناعاتهم، و بافتراضنا أن هذا الشعور فطري بالواجب يستلزم ميل عدم صياغة أي سبب يمنعه من أن يكون هو هذا الشعور، و هكذا تتفق الأخلاق الحدسية مع أخلاق المنفعة، و سوف لا يوجد أي خلاف آخر بينهما، و حتى في هذه الحالة³. لأن الحدسيين يقرون بوجود إلتزامات حدسية تقضي بمراعاة إخواننا مع البشر، و هذا الإقرار بالمصدر المتعالي للإلتزام الأخلاقي يمنح دعما إضافيا للإلتزام الباطني، وهكذا فإن المذهب النفعي يكون قد استفاد من هذا الدعم سلفا. وعليه فإن ميل يعطي أهمية كبرى على الشعور بالإلتزام الخلقي و الواجب، لكنه لا يقول بأن هذا الشعور يأتينا من مبدأ عقلي متعالي أو إلهام إلهي، بل يأتي كما رأينا نتيجة تشابك و تداخل العديد من المشاعر الطبيعية المكتسبة.

¹المصدر نفسه، ص69.

²المصدر نفسه، ص69.

³المصدر نفسه، ص71.

2- المنفعة و مسألة العدالة:

يرى ميل أن العدالة تكمن في الصفات التالية:

1- احترام الحقوق القانونية لأي شخص يقول: " من العدل أن نحترم الحقوق القانونية لأي شخص و من الظلم أن ننتهكها"¹.

2- الحق الأخلاقي : فالأخلاق المسلوقة لشخص معين ربما لم تكن في الأصل حقا له ، فتختلف بهذا الآراء، حيث يرى فريق انه لا يجوز للمواطن حرق القانون لأي سبب كان وفق المصلحة العامة، و يرى فريق ثاني إمكانية عصيان قانون ناقص ،في حين يرى فريق ثالث جواز عصيان القوانين الظالمة دون غيرها ،بينما يذهب فريق آخر إلى الإجماع على أن هناك قوانين ظالمة، و بهذا يعذروا اتخاذها معيار للعدالة ، و يدين العدالة في الأخير لأنها قد تنتهك الحق الأخلاقي لأخلاق أو جماعات في شيء يكون لها فيه حقا أخلاقيا.

3- فكرة الاستحقاق :بحيث يعتبر بصفة شاملة أنه من العدل أن يحصل كل شخص على ما يستحقه سواء كان خيرا أو شرا ،و أنه من الظلم أن يحصل على خير ما أو يتحمل شرا مدام لا يستحقه².

4- إننا نعترف انه من الظلم أن نخلف وعدنا لأي كان ، أي أن نقض وعدنا سواء كان ذلك بصراحة أو بصفة ضمنية³، و هذه الحالة لا ينظر إليها على أنها حالة مطلقة بل كالتزام يمكن تجاوزه بالتزام آخر.

5- إن العدل هو باعتراف الجميع يتعارض مع الانحياز ، بمعنى إبداء المحاباة أو تفضيل شخص على شخص آخر ، و لا ينظر إلى التحيز أو عدمه كواجب في ذاته ،بالنقد و بالتالي فإن الحالات التي يقع فيها هذا السلوك هي استثناءات و ليست قاعدة، و يكون

¹جون ستيوارت ميل : أسس الليبرالية، نفس المرجع السابق، ص87.

²المرجع نفسه، ص88.

³جون ستيوارت ميل: النفعية، نفس المرجع السابق، ص91.

الشخص أكثر عرضة لتوجيه اللوم بدلا من التشجيع عندما لا يعطي لعائلته أو لأصدقائه أي امتياز أكثر من الغيباء، إذا ما تمكن من تحقيق ذلك دون الإخلال بأي واجب آخر ، و لا احد يظن أن من الظلم أن يفضل شخص معيناً على آخر لأنه صديق أو قريب أو رفيق¹.

إذن النزاهة إلزامية فيما يتعلق بمجال الحقوق و منح كل ذي حق حقه، و باختصار فإن النزاهة بوصفها احد الالتزامات التي تفرضها العدالة قد تعني فحسب ممارسة الاعتبارات التي يفترض لها أن تؤثر في الحالة قيد الدراسة ، و مقاومة غواية أية دوافع قد تؤدي إلى سلوك يختلف عما تمليه هذه الاعتبارات²، و من العناصر التي تكون مفهوم العدالة و ترتبط بالنزاهة ارتباطا وثيقا: المساواة بأنها بنظر الكثير تشكل ماهية العدالة، غير أن فكرة العدالة تختلف في هذه الحالة ، و ربما اختلفت أكثر في حالة أخرى باختلاف الأشخاص، و هي باستمرار في اختلافاتها مع اختلاف فكرتهم عن النفع، فكل شخص يؤكد أن المساواة هي مسألة عدالة ،فيما عدا تلك الحالات التي يعتقد أن المنفعة فيها تقتضي اللامساواة³.

فالعدالة في توفير حماية متساوية لحقوق الجميع، فحتى في بلدان العبودية يتساوى العبد مع السيد في الحقوق ،و المحكمة التي لا تنفذ القانون تفتقر إلى العدالة.

و بهذا فميل يرى أن العنصرين الرئيسيين المكونين لشعور العدالة هما: الرغبة في معاقبة شخص قام بفعل ضار ،و العلم أو الإيمان بان الأذى قد لحق بفرد أو مجموعة من الأفراد، و الرغبة الأولى تنشأ تلقائيا من شعورين طبيعيين هما: الدفاع عن النفس، الشعور بالتعاطف ،و هما وجدانات حيوانية عامة، و يتميز البشر عن الحيوانات الأخرى بخاصيتين: المشاركة

¹المصدر نفسه، ص92.

²جون ستيوارت ميل: أسس الليبرالية، ص90.

³المصدر نفسه، ص90.

الوجدانية و امتلاكه للفكر الذي يوسع أفاق التعاطف فيما بينها، و التي بها يدرك وحدة المصالح بين المجتمع الذي يعيش فيه¹.

إن فكرة العدالة عند ميل تفترض أمرين : أولهما قاعدة السلوك ، و ثانيهما شعور بقبول تلك القواعد، فالأول يتشارك فيه الناس جميعا ، و هو يهدف إلى خيرهم المشترك، و الثاني يتمثل في الرغبة في فرض العقاب على من انتهك تلك القواعد، و فكرة الحق تنشأ عن قوة القانون أو التربية أو الرأي العام، فإذا انتهك حق شخص ما ،نعتبر ذلك زعما مشروعاً ناشئاً عما سبق، و يضمن له المجتمع حقه المسلوب، واجب المجتمع أن يتخذ الخطوات اللازمة لكي يتضمن هذا الشيء، و إنما لا بد أن تتركه و شأنه بحيث يعتمد على جهوده الشخصية².

من هنا يتضح أن العدالة عند ميل لازمة لمتطلبات أخلاقية ، تصبح مجتمعة في المنزلة الأعلى لميزان المنفعة الاجتماعية، و تمثل إلزاماً يفوق أي إلزام آخر ، إلا في حالات جزئية تتطلبها الواجبات الاجتماعية.

يرفض ميل التعارض المزعوم بين المنفعة و العدالة بل أن العدالة لا تفسير لها إلا بالنظر إلى المبادئ النفعية، و هو يسجل هذا بوضوح في الفصل الخامس من كتاب "المنفعة العامة" حيث يقول : "إذا كان من الواجب على المجتمع أن يدافع على حق شخص معين في شيء ما و إذا ما اعترض شخص على هذا و تساءل لماذا يتعين على المجتمع أن يدافع عن هذا الحق، فإنني لا أجد إجابة بها على المعارض سوى أن أقول له : إن هذا هو ما تفرضه إعتبارات المنفعة العامة"³.

¹المصدر نفسه، ص96.

²المصدر نفسه، ص98.

³أنطوني دي كريسيني: كينيث مينوج: أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، تر: نصار عبد الله، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1996، ص135.

و عليه تعتبر العدالة عند ميل هي الجزء الأساسي و الأكثر قديسية و إلزاما على الإطلاق ضمن الأخلاق كلها، لكن ليس أساس الحق المجرد، و إنما ببساطة لان مقتضيات العدالة تحتل أعلى درجات سلم المنفعة الاجتماعية، مما يجعلها أكثر الواجبات قيمة.

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق نستنتج أن الفكر السياسي لجون ستيوارت ميل ارتكز على الأفكار السياسية و الأخلاقية و الاجتماعية ، فنجده بحث في الليبرالية التي تكمن عنده في النزعة الفردية و إزاحة القيود و المعيقات أمام الفرد ، إضافة إلى كتابه في الحرية و استعباد المرأة، بحيث رفض كل أنواع الاستعباد للمرأة و أعطاها نفس الحقوق و الحريات مع الجنس الآخر ، و في المجال الأخلاقي عدل نفعية بنتام حيث اعتمد على الشعار "أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس" ، فمن خلاله رسخ مبدأ العدالة و النزاهة و الالتزام الخلفي في الجانب الأخلاقي و الاجتماعي.

فكتابه "عن الحرية" دافع فيه عن الحريات الاجتماعية و الليبرالية الأساسية و حدود السلطة التي يحق ممارستها على الفرد، كما يتخذ من مبدأ المنفعة أساسا أخلاقيا لبناء الحرية.

الفصل الثالث: الاقتصاد الليبرالي السياسي عند جون ستيوارت ميل وأهم المعارضات والانتقادات التي وجهت له حول فكره السياسي.

المبحث الأول: الاقتصاد السياسي عند ميل.

1- مبادئ الاقتصاد السياسي.

2- الاقتصاد عند جون ستيوارت ميل.

المبحث الثاني: تأثير ميل عند الفلاسفة.

1- تأثيره في بعض فلاسفة الغرب.

2- تأثيره في بعض فلاسفة العرب.

المبحث الثالث: مقارنة نقدية.

1- نقد النفعية.

2- نقد نظرية المرأة و الحرية.

تمهيد:

تعتبر الليبرالية منهج للتفكير يدور حول السياسة و الاقتصاد ، و الليبرالية الاقتصادية ترتبط بالمدرسة الطبيعية التي تؤكد بأن القانون الطبيعي يتحقق بالمبادرات الفردية التي تُحدث التوازن بين الأسعار و الإنتاج و عدم تدخل السلطة في الاقتصاد، و نجد جون ستيوارت ميل وضع يده في هذا الموضوع و كتب عنه مؤلفا هو "مبادئ الاقتصاد السياسي"، و يعتبر هذا الأخير آخر الموضوعات التي تطرق إليها .

و في هذا الفصل سنتناول أهم مبادئ الاقتصاد السياسي و أهم الأفكار التي أتى بها ميل حول موضوع الاقتصاد، إضافة إلى ذلك سنتعرف على تأثيرات ميل عند المفكرين و أهم الانتقادات التي وجهت له.

المبحث الأول : الاقتصاد الليبرالي عند جون ستيوارت ميل

1- مبادئ الاقتصاد السياسي:

كتب ميل في كتابه "مبادئ الاقتصاد السياسي" معالم نظرياته الاقتصادية ، و في هذا الكتاب نجد أن ميل جمع نظرياته و رأى بعض المفكرين أمثال آدم سميث إضافة إلى تأثيره بسان سيمون¹ و فوربيه² ، و الواضح أن ميل ركز في كتابه عن هؤلاء المفكرين لإبراز المعالم الاقتصادية ذات سمات تقدمية و اشتراكية³.

ظهرت الليبرالية الاقتصادية بعد أفكار آدم سميث الذي نادى بالحرية و المنافسة ، و ابرز ما ذكر في هذا الموضوع النظام الرأسمالي الذي يطالب بالحرية في التجارة و التعاقد دون تدخل من السلطة و الدولة.

و حرية ممارسة أي عمل أو أي نشاط تحت شعار : "دعه يعمل، اتركه يمر" ، و ركز على أهمية التجارة الخارجية الحرة لزيادة الثروة لكل الدول المتاجرة.

تناول ميل في كتابه " مبادئ الاقتصاد السياسي " التجارة الدولية ، و كان لها دور هام في تحليل قانون النفقات النسبية و علاقته بالتبادل الدولي ، و جاء ميل في هذا مكملا لما تركه ريكاردو⁴ في نظريته الاقتصادية

حسب ما أتى به جون ستيوارت ميل ان نسبة التبادل ستقع داخل الحدود التي تقرها التكاليف النسبية في الدولتين، و تتحدد بقانون العرض و الطلب¹، ووضح أن القيمة الدولية

¹سان سيمون:فيلسوف و اقتصاد فرنسي ، كان يدعو أن السلطة يجب أن تسلم إلى الصناعيين لا العلماء، وهو أيضا مؤسس الحركة السياسية الاجتماعية السان سيمونية.

²فوربيه:رجل اقتصادي و فيلسوف فرنسي، تأثر في حياته بالأفكار الاشتراكية التي سبقت أفكار و أدبيات كارل ماركس.

³ ابراهيم العريس: "مبادئ الاقتصاد السياسي لستيوارت ميل"، يوم تنصب الثروات، الحياة، 13\04\2016، في الموقع

<https://googl/qcwgfj>

اقتصادي و سياسي انجليزي، يعد من ابرز رموز المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد، و هو مؤلف احد اهم الكتب في تاريخ ريكاردو: الاقتصاد السياسي "مبادئ الاقتصاد السياسي و الضرائب".

للسلعة تتحدد عند المستوى الذي يتحقق فيه الطلب المتبادل بين الدولتين، و يرى أيضا انه يوجد معدل فريد بين المعدلات الممكنة الذي يقع بين معدل التبادل الأدنى ،و يحقق التعادل بين قيمة الواردات و قيمة الصادرات للبلدان ،باعتبار أن صادرات البلد الأول هي واردات البلد الثاني ،أي أن أي معدل آخر غير هذا يؤدي إلى الاختلاف بينهما ،فيقع احد البلدين في فائض و الآخر في عجز، و حسب ميل فان دور المنفعة يتوقف على عاملين أساسيين :حجم الطلب المتبادل بين الدولتين ، و مرونة هذا الطلب².

- جمع جون ستيوارت ميل في الاقتصاد بين فكرة التقدم و زيادة تكامل الجنس البشري بمبدأ التجارة الحرة ، و في هذا يقول : "أن اكبر درجة و أسرع زيادة في التجارة الدولية هي الضمان الأساسي للسلم في العالم ، إنها اكبر أمان دائم للتطور المستمر للأفكار، المؤسسات أو مميزات خصائص الجنس البشري"³، بمعنى أن التجارة عندما تعمل بسرعة فيقل احتمال الحرب ،و هذا عن طريق تقوية و مضاعفة المصالح الشخصية التي هيا في تعارض مع الحرب.

يرى ميل أن قوانين الإنتاج ثابتة و محددة بالضرورة، و هو يؤمن بحرية المنافسة و التجارة الحرة، و قد رغب في فرض الضرائب على الزيادات الطارئة في سعر الأراضي ، و اعتقد أن الاشتراكية جديرة بالتقدير حيث أعجب بمثلها العليا⁴ ، و بهذا فان جون ستيوارت ميل في كتابه " مبادئ في الاقتصاد السياسي" تأثر بآدم سميث و ريكاردو و أفكارهم الاقتصادية ، لكنه تعاطف مع الاشتراكية لمثلاها العليا حول إقامة مبدأ المساواة بين جميع الناس و التي

قانون العرض و الطلب: هو نظرية توضح التفاعل بين بائعي السلع و المشترين لهذه السلع ،تحدد النظرية العلاقة بين¹ سعر سلعة أو منتج معين و استعداد الناس إما لشراؤه أو بيعه.

² مجدي علي محمد عنيت: نظرية هكشر أولين في التجارة الخارجية في ضوء الفكر الاقتصادي الإسلامي، مجلة دراسات في علوم الشريعة والقانون، من إصدارات، الجامعة الأردنية، الأردن، مح41، ملح2، 2014، 2014، ص873.
³ محمد الطاهر عديلة: تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014، ص159.

⁴ وليم كلي راتب: "تاريخ الفلسفة الحديثة"، نفس المرجع السابق، ص426.

تقوم على مبدأ وسائل الإنتاج ملك للدولة ، أي كل الناس سواسية ، و هذا ساهم في القضاء على الطبقة.

2- الاقتصاد عند جون ستيوارت ميل:

إن أفكار ميل حول الاقتصاد الحر السياسي هي محدودة تدخل السلطة في شؤون التجارة مقدمة للفكر الاقتصادي الليبرالي الكلاسيكي ، أي أن منح المزيد من الحرية للمواطنين من أجل ضمان التملك و العمل الاقتصادي مما ينتج أن يعملوا دون قيود ، من أجل تحقيق الأهداف التي وضعوها لأنفسهم ، هذه الضمانات تتيح النمو لأصحاب القدرات الكبيرة ، و تكفل مستوى من الحريات السياسية و الاقتصادية ، التي ستكون على المدى البعيد ايجابية للجميع¹ . و بهذا فالحرية هي أساس نجاح الاقتصاد الليبرالي ، لان كلما زادت الحرية في الاقتصاد للفرد كلما زاد الإنتاج و الربح ، و بطبيعة الحال يكون هذا في مصلحة الدولة. و عليه فان ميل ذات ثقافة متنوعة ، حيث انه أنتج فكرا غنيا ، حيث تميز بجمعه بين فكرة السوق الحر و فكرة التدخل الاجتماعي، و امن العمل ، و الحفاظ على الصحة العامة و الحماية من الفقر وجبت تطبيقا واقعيا في اقتصاديات سوق حرة.

و تميزت رؤية جون ستيوارت ميل بالإستشراقية التي جسدها دولة الرفاه في أوروبا ، بعد الحرب العالمية الثانية ، و يعود هذا إلى مآثر الديمقراطية ، و الأهم أن دولة الرعاية لا تزال مزدهرة في أوروبا ، و هذه النماذج التي أتى بها ميل تشكل حلما بالنسبة لفقراء العالم² .

من هنا نستنتج إن ما قدمه جون ستيوارت ميل في غاية الثراء و الأهمية ، خاصة في كتابه "النفعية" ، و كل ما ألفه في عصره ، و مازال لحد يومنا هذا يُنشر حوله قراءات و انتقادات

¹بابلو سيمون: " الديمقراطية عند جون ستيوارت ميل" ، تر: مصطفى أبو شمس، ياسين السويحة، الجمهورية، 2014\07\08 ، متاح على الموقع: <https://www.aljumhuriya.net/ar/29588>

²محمد محمد: جون ستيوارت ميل 2017\09\08 ، متاح على الموقع: <https://geiroom.net>

و دراسات، و هذا كله من حيث الركائز العملية التي ولدها و كل النضالات المختلفة التي خاضها خلال مشواره المعرفي¹.

¹جون ستيوارت ميل: "المنفعة"، مصدر سابق، ص13.

المبحث الثاني: تأثيرات جون ستيوارت ميل على المفكرين.

1- تأثيره على فلاسفة الغرب:

أ- كارل بوبر¹: هو فيلسوف انجليزي نمساوي، يعتبر من أهم فلاسفة السياسة، ومحالف للديمقراطية وداعية للمجتمع المفتوح آمن بقدرة العقل، وأخذ النقد منها لتقدم المعرفة².

له العديد من المؤلفات أهمها: "منطق البحث" 1934، وكتاب "المجتمع المفتوح وأعداؤه" عام 1945، وهذا الأخير اكتسب شهرة كبيرة خاصة في مجال السياسة، قدم فيه مبدأ شامل مرشد للسياسة العامة هو: "أقل قدر ممكن من المعاناة" مقابل لمبدأ ميل "أكبر قدر من السعادة"، ويتميز مبدأ بوبر عن مبدأ ميل بأنه يعالج مباشرة المشكلات³، وهنا لا يخفي تأثير بوبر بجون ستيوارت ميل، وتوافق معه في مبدأ عدم التدخل في شؤون الأفراد وأمورهم الشخصية ما لم تعرض مصالح الغير للخطر.

أي أن الفرد يحق له أن يعمل وفق طريقه الخاصة، ومن وجهة نظر كارل بوبر أنه لا يحق لأحد التدخل في شأن الفرد بحجة إرادة الخير له.

ويتبين هذا في قوله: "إنني أوافق على مبدأ ميل ضمن الصيغة الآتية وهي أن كل إنسان حر في أن يعيش وفق الطريقة التي يراها، سواء كان ذلك موحيا لسروره و سعادته أولا، وذلك إلى الحد الذي لا يفضي إلى وقوع الضرر على شخص ثالث، بيد أن وظيفة الدولة تتمثل في إيجاد حالة من الاطمئنان على هذا الصعيد، بحيث لا يتعرض المواطنين غير المطلعين لأي خطر لا يستطيعون تقييمه والحكم عليه"⁴. وعليه فإن كارل بوبر من

¹كارل بوبر: فيلسوف بريطاني و نمساوي، متخصص في فلسفة العلوم، و يعتبر من أهم المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين كما كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية و السياسية.

²كارل بوبر: "مائة عام من التنوير"، تر: عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي، سي أي سي، دط، 2017، ص11.

³المرجع نفسه، ص135.

⁴كارل بوبر: "درس في القرن العشرين"، تر: الزواوي بغورة، لخضر مذبوح، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2008، ص98.

المتأثرين بميل خاصة في مجال السياسة ونختص بالذكر مبدأ الحرية للأفراد في نمط عيشه و تفكيره.

ب- جون رولز¹: فيلسوف أمريكي من أكبر فلاسفة الغرب في المجال السياسي المعاصر، من مؤلفاته: " نظرية في العدالة" 1971، و "الليبرالية السياسية" 1993 حيث يعتبر من أهم فلاسفة الليبرالية في القرن العشرين².

حاول جون رولز ترسيخ الأسس التي بنت عليها الليبرالية بأبعادها المختلفة من أجل تحقيق أسس العدالة بين الشعوب، بحيث يعتبر العدالة من أهم قيم المجتمع المدني، وذلك للحد من الصراعات الموجودة بين الأفراد بسبب عرقهم و جنسهم، كما أنه من المدعين للحرية الفردية و تنمية القدرات الإنسانية الذاتية.

العدالة عند رولز هي بديل للنفعية عند ميل التي يراها لا تصلح أساس في المؤسسات و الحكومات وفي هذا السياق يقول: " السبب الرئيسي الذي يدفعني لإيجاد مثل هذا البديل هو الضعف، كما اعتقد في العقيدة النفعية كأساس للمؤسسات الديمقراطية الدستورية على وجه الخصوص، ولا أعتقد أن المذهب النفعي يستطيع تقديم تفسير مرض للحقوق و الحريات الأساسية للمواطنين كأفراد أحرار ومتساوين"³ أي أن النظرية النفعية سيطرت منهجيا على الفلسفة الأخلاقية الحديثة، وهذه النظرية تبناها ميل، حيث رأى في كتابه "النفعية" أن المصلحة الجماعية عاطفة وجدانية تلبي مجموعة من المصالح المشتركة وهذا يتبين من خلال قوله: " للنظرية النفعية النافع ليس أداة بل يدل على أمر أخلاقي يتمثل في السعي لتحقيق أكبر سعادة ممكنة لأكثر عدد من الناس"⁴.

¹ جون رولز: فيلسوف اخلاقي و سياسي في التراث الليبرالي .

² جون رولز: " نظرية في العدالة"، تر: ليلي الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص6.

³ المرجع نفسه، ص12.

⁴ جون ستيوارت ميل: " النفعية"، مصدر السابق، ص23.

من هنا يمكننا القول أن المذهب النفعي الذي يعتمده رولز لا يعود لمبدأ المنفعة بل إلى مبدأ العدالة فهو يرى أن النفعية لا تبالي بسعادة كل فرد لأنها تأخذ سعادة الجميع ورفاهها وعندما تلبى سعادة الجميع تقمع الحرية الفردية، فتبدو كمذهب اختياري ينطلق من الواقع المتمثل في الميول والنزعات الإنسانية، أي أنه يرجع إلى مبادئ العدالة في فكره وهذا يعد بالنسبة له إحياء للفكر الليبرالي التقليدي.

حسب جون رولز فإن العدالة هي الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية، كما هي الحقيقة لأنظمة الفكرية، ومهما كانت النظرية أنيقة و مقتصدة لا بد من رفضها إذا كانت غير صادقة، كذلك الأمر بالنسبة للقوانين والمؤسسات مهما كانت كفؤة وحيدة التشكيل، فلا بد من إصلاحها إن كانت غير عادلة¹.

من هنا فإن العدالة عند رولز تهدف إلى وضع المبادئ الأساسية للمجتمع و مؤسسات الدولة، وعليه فإن نظرية العدالة هي نظرية سياسية وليست أخلاقية، فالمبادئ التي وضعها و ارتكز عليها تتمثل في قوله: "مبدأ المساواة في الحرية، ومبدأ العدالة في التوزيع"²، فبالرغم من نظرة ميل أن مبدأ التجارة الحرة يستند إلى أسس متساوية في القوة، إلا أنه أصر على أن المبررات الاقتصادية و الشخصية للحريات متميزة، وفي كتابه "مبادئ في الاقتصاد السياسي" صعبت الإجابة إذا ما كانت الحريات الشخصية قابلة للتطور دون الملكية الخاصة وهي وجهة نظر عاود تأكيدها رولز بعد قرن من الزمان، وهنا يتبين تأثير جون رولز بجون ستيوارت ميل.

¹ جون رولز: "نظرية في العدالة"، ص29.

² جون رولز: "العدالة كإنصاف"، تر: حيدر حاج اسماعيل، المنطقة العامة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009، ص148.

2. تأثيره على فلاسفة العرب:

عالج المفكرين العرب مشكلة الحرية، فقد جعلوها ذات مكانة راقية ومحور لدى الأفراد، حيث بحثوا في أصول نشأتها مبينين تأثيرها على الفرد والمجتمع، ومن بين هؤلاء المفكرين العرب نجد:

أ. أحمد لطفي السيد¹: تأثر بميل في نظريته النفعية و الحرية، فمذهب المنفعة هو قاعدة تفكيره السياسي، أما الحرية التي ناد بها ميل هي الأساس للنظام الاجتماعي، واتخذ أحمد لطفي السيد هذا الأساس و سماه " مذهب الحريين" نسبة إلى الحرية، وكانت دعوته لهذا المذهب أول دعوة في مصر لفلسفة النظاميين السياسية والاجتماعية².

يرى أحمد لطفي السيد أن قاعدة كل المذاهب هي المنفعة، فحب المنفعة هو الدافع للعمل، ويختلف الناس في تقدير منفعتهم الشخصية كما يختلف في تقدير منفعتهم العامة، ومن هنا يكون اختلاف المذاهب السياسية في حكم الأمم، فض الناس من يرى المنفعة هي الملكية الفردية، ومنهم من يرى أن المنفعة هي حكم الأشراف والنبلاء، ومنهم من يرى المنفعة أنها حكم الاشتراكي، ومنهم من يرى المنفعة، هي حكم مبادئ الحرية أو مذهب الحريين، ويقضي هذا الأخير بعدم التضحية بحرية الفرد من أجل حرية الجماعة، وهذا المذهب يجب أن يكون أساس للحكم في مصر³.

كتب السيد في كتابه: " إن مذهب الحريين أو الفرديين يعتبر الحكومة ضرورية من الضروريات، ويعتبرها كذلك أرسقراطية أو ديمقراطية، أو حكومة الفرد، ولهذا الاعتبار ينبغي أن يكون عمل الحكومة إلا ثلاثة واجبات: البوليس وإقامة العدل، وحماية البلاد،

¹أحمد لطفي السيد: مفكر مصري، عمل وزيرا للمعارف ثم الداخلية، و رئيسا لمجمع اللغة العربية، و رئيسا لدار الكتب و مديرا للجامعة المصرية، و يعتبر من قادة التنوير و التثقيف في مصر في القرن العشرين، و لقب بأستاذ الجيل.

²حسين فوزي النجار: أحمد لطفي السيد (أستاذ الجيل)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، 1999، مصر، ص177، ص178.

³المرجع نفسه، ص178، ص179.

وكل ما يخرج عن هذه الدائرة لا يحل لها المداخلة فيه"¹ وبالتالي هنا يتبين تأثيره بميل ويظهر هذا في قوله: "يعجبنا قول أحد الكتاب الإنجليز في هذا الصدد: إن الحكومة لم تدخل في عمل خارج عن هذه الدائرة إلا أثبتت عدم كفاءتها له، مذهب معقول لأن الإنسان خلق حراً حرية غير محدودة، فلا يكون حداً بضرر الغير إلا ضرورة من ضروريات الجمعية"² وهنا يقصد سيد لجون ستيوارت ميل من خلال قول ميل لمبدأ الضرر الذي ينادي بحرية الفرد ومادام هذا الأخير لا يشكل خطر على الجماعة، فالدولة لا يحق لها التدخل إلا للضرورة، أي أن ميل عبر عن الحرية أنها قدرة الإنسان على السعي وراء مصلحته الشخصية بحسب منظوره شريطة ألا تكون مفضية إلى اضرار بالآخرين وهذا ما أخذ به أحمد لطفي السيد من ميل وتأثر به بشكل كبير. ونجد أيضاً هذا الأخير متأثر بأغلب أفكار ميل مثال ذلك المساواة بين الرجل و المرأة، وبهذا فنجد أفكار السيد هي تحصيل حاصل لأفكار جون ستيوارت ميل.

ب- علي حسين الوردی: عالم اجتماع عراقي آمن بالفلسفة التجريبية و المنطق الاستقرائي عند فرانسيس بيكون³ ونقده للمنطق الأرسطي في محاولة عكس القياس بالانتقال من الجزئيات إلى الكليات، حيث تأثر بالفلسفة الحديثة و المعاصرة، وقد تأثر في اتجاهه الفكري بالبرغماتية⁴ و التجربة عند ميل وبالتحديد الاعتماد على الحس مصدر للمعرفة و المنفعة⁵.

يرى الوردی أنّ الدعوة للحرية يقضي بالأساس احترام حرية المرأة التي تشكل نصف المجتمع، وهذا ما لم يتجاوزه العرب في يومنا هذا، فلا بد أن تحترم المرأة ونعطي لها حقوقها لأنها: "مخلوق بشري كالرجل، لها الحق في أن تعيش كما يعيش، وأن تتمتع بالحياة على

¹كليمانز ريكز: " الليبرالية في تاريخ الفكر العربي"، مركز المحروسة للنشر و الخدمات الصحفية، ط1، 2010، ص32.

²المرجع نفسه، ص32.

³فرانسيس بيكون: فيلسوف و أديب انجليزي، مؤسس النزعة التجريبية الحديثة في الفلسفة .

⁴البرغماتية: هي اتجاه أو تيار فلسفي يحدد معنى و حقيقة جميع المفاهيم من خلال عواقيها العملية.

⁵مجموعة من الأكاديميين العرب: "موسوعة الفلسفة العربية المعاصرة"، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014،

ص186، ص187.

منوال ما يفعله الرجل"¹، وتحقيق هذا الشيء هو تحقيق النصر على استبدادية الروح في الفرد أولاً وفي المجتمع ثانياً، من هنا نجده قد تأثر بميل كونه دعي للمساواة بين المرأة و الرجل، كما نقد المنطق الأرسطي واعتبره قياساً ظاهرياً وتحصيل حاصل وسلم بالحدس كمصدر للمعرفة، كما رفض الاستبداد العقلي واعتبره عائقاً أمام حرية الرأي والتعبير. وبالتالي ففكر الوردية يدور حول تقبل المجتمع للمعتقدات الفكرية، لذلك نجده ضد المنطق الصوري التقليدي. الذي يقمع حرية الرأي والتعددية. ولهذا تجد الوردية دائماً النقد للحقيقة لأن امتلاكها أو ادعاء الملك عليها، هو القضاء على التنوع الفكري الذي هو سبب وصول الإنسان للتطور والازدهار.

¹ علي الوردية: "مهزلة العقل البشري"، دار كوفان، ط2، بيروت، 1994، ص15.

المبحث الثالث: مقارنة نقدية لفلسفة ميل السياسية

1- في نقد النفعية عند ميل:

تعرضت نظرية المنفعة عند ميل لعدة انتقادات ومعارضات نجد أنّ:

مبدأه أنّ الخير هو ما يرغب فيه الناس بالفعل نقده وعارضه جورج إدوارد مور¹ وسماه "بالمغالطة الطبيعية" لأنه يمكن تعريف الخير بالاستناد إلى ما يرغب فيه الناس بالفعل، وحتى لم أسلمنا أنّ الناس يرغبون بما هو خير، فإن من الواضح أنّ هذه الواقعة لا تمثل ما نعنيه بالفعل خير نقول عن أي شيء أنه حسن أو خير، هذا إلى أنه ليس في وسعنا مطلقاً أن نستنتج مما يفعله الناس بالفعل وما ينبغي لهم أن يفعلوه، وإلا ارتكبنا مرة أخرى مغالطة طبيعية².

يرى برانندر راسل أنّ ميل قد ارتكب خطأ فادحاً حين قدم برهان يثبت به مبدأ المنفعة القائل أنه: "الدليل الوحيد الذي يمكن الإدلاء به على أنّ شيئاً ما مرغوب فيه، هو أنّ الناس يرغبون فيه بالفعل"³ بمعنى أنّ المغالطة عند ميل هي أنّ استخدام لفظ "مرغوب فيه"، بمعنيين في نفس الوقت هما: ما يمكن أن يرغب فيه الناس بالفعل أي ما هو كائن، وما ينبغي أن يرغب فيه الناس كمثل أعلى أي ما ينبغي أن يكون، مثال ذلك إنّ الصدق مرغوب فيه وهذا يعني بالفعل أننا ينبغي أن نكون صادقين، وهكذا فإن حجة ميل باطلة. كما نجد المغالطة عند ميل في الانتقال من مصلحة الفرد إلى مصلحة الجماعة، ذلك أنه برهن على مذهب المنفعة العامة، ويظهر هذا في قوله: "إنّ كل فرد يرغب فعلاً في سعادته الشخصية، كلما اعتقد مكان الحصول عليه، وإذا صح هذا كنا قد أثبتنا لا بالدليل الذي تحتمله هذه القضية فحسب بل بالدليل الذي يمكن أن نفتقر إليه، أنّ السعادة خير، وأنّ سعادة كل فرد

¹ جورج إدوارد مور: فيلسوف بريطاني من النصف الأول في القرن العشرين و هو مؤسس التقليد التحليلي في الفلسفة .

² زكريا ابراهيم: "المشكلة الخلقية"، مكتبة مصر، (د.ط.)، القاهرة، (د.ت)، ص152، ص153.

³ جون ستيوارت ميل: "أسس الليبرالية"، نفس المصدر السابق، ص77.

خير لذلك الفرد، إذن فسعادة المجموع خير لمجموع أفراد¹. وفي هذا الدليل نرى أنه يشتمل على مغالطة تكن في الحكم على الكلي بما في ذلك الحكم على الجزئي الذي يتألف منه، حيث يرى ميل أن سعادة الفرد الأول والثاني والثالث كلهم ذات سعادة مجتمعة، وعليه لم يدرك أن أنواع السعادة مختلفة من شخص لآخره وبالتالي فالأساس الأخلاقي الذي بناه ميل للفكر الليبرالي في نظرية المنفعة، يفتقر إلى البناء المنطقي للحكم، وإلى الدلائل التي تلزم الفرد أخلاقية برعاية المنافع العامة، إضافة إلى ذلك الحاجة إلى معايير لتفضيل الرغبات، ولقياس نتائج الأفعال.

من هنا نجد أن نظرية المنفعة عند جون ستيوارت ميل متناقضة وهذا يعود للدلائل المتقابلة التي قدمها فلو تمعنا في فلسفته النفعية و تعمقنا فيها سنجد كثيرا من التناقضات في فلسفته والدليل على ذلك ما أتى به راسل، و إدوارد مور.

2- نقد نظرية المرأة:

يعتبر كتاب "استعباد النساء" بمثابة إعلان عقلي للمرأة في التاريخ، وبمثابة الهجوم على الاستعباد القانوني الذي هي من ضحاياه، وعلى الأخلاق الإكراهية التي ترغمها على الخضوع للرجل، وعلى الرغم من عبقريته الخارقة للمألوف، لم يلق ميل نجاة لدى القراء الذكور، فقد وصفته الصحافة بأنه مجنون ولا أخلاقي، في الغالب الاثنان معا².

نادى ميل بشيوع ثقافة جديدة مفادها أن تكوين أسرة ليس كل شيء، وإنما هناك غايات أخرى ويقول في هذا: "إن من يحاول إرغام النساء على الزواج فإنه يغلق جميع الأبواب الأخرى في وجوههن، و يكون عرضة لأن يرد عليه بنفس الرد السابق، فإذا كان يعني ما يقول حقا كان من الواضح أن يكون رأيه على النحو التالي: أن الرجال لا يجعلون ظروف

¹المرجع نفسه، ص77، ص78.

²برانتد راسل: "حكمة الغرب"، نفسه المرجع السابق، ص162.

الزواج أمراً مرغوب فيه عند النساء، بحيث يدفعهن إلى قبوله لما فيه من مغريات خاصة، وهذا لا يسمح الرجل للمرأة بالاختيار ويطبق عليها مبدأ اختيار هوبز: "هذا أو لا شيء"¹.

وهكذا نجد ميل قد تجاهل رسالة المرأة الطبيعية وهي رعاية الأطفال وتلبية طلبات الزوج والالتفات لبيتها، وركز على ظلم الرجال وعبودية النساء، وهذا يعتبر تنكراً للطبيعة البشرية و القانون الذي يقوم عليه الطبيعة وهو أنّ المرأة لبيتها ولرعاية أطفالها.

يقول ميل: "لا يوجد شيء في هذه الدنيا يستحق التضحية بحرية الفرد، ومن ثم فكل امرأة يعولها زوجها حتى ولو كانت رعايته لها جيدة، قد باعت في الواقع حريتها بثمن بخس عندما استبدلت بها الطعام والمأوى، ولا يمكن لأي إنسان حرفي أن يفكر في مثل هذه الصفة دع عنها أن يقبلها، وهي فضلا عن ذلك يمكن أن توجد في مجتمع حر"² وهنا يرى ميل أن الزواج صفقة مادية، كما أنه لم يرى في الزواج سوى الطعام والمأوى بدل السكنية والرحمة والمودة، هذه القيم ارتقت لتصبح عند المسلمين يعدلون نظرتهم تجاه الزواج ويجعلوه نصف الدين، مما جعل من الزواج أثر إيجابي في توازن شخصية المسلم، وقد أحاط الإسلام بهذه المؤسسة لما لها من أهمية تشريعية حدد فيها حقوق وواجبات كل طرف على أساس المساواة والتكامل، وعليه فإن نظرة ميل في المرأة جعل الفرد غارقاً في المادية، فأصبح الرجل الحديث عبداً للمنفعة، ساعياً وراء اللذات.

كانت نظرة ميل في كتابه "استعباد النساء" بعين واحدة فهو حصرها فقط من جهة الزواج و الرجل ونسي الإحاطة باستعباد النساء في مجال العمل والسعي وراء لقمة العيش، حيث فرضت الظروف على النساء العمل وترك أولادهن على أبواب الكنائس حتى يتحسن أحوالهن ويكون بمقدورهن الإنفاق، لكن ميل لم يصب جم سخطه إلا على أوضاع المرأة داخل مؤسسة الزواج، واستعباد الزوج لزوجته، مطلقاً عليه "خضوع النساء".

¹ جون ستيوارت ميل: "استعباد النساء"، نفس المصدر السابق، ص 69، ص 70.

² المصدر نفسه، ص 14، ص 15.

3- في نقد الليبرالية:

حاول جون ستيوارت ميل في أطروحته على جمع أفكار ديمقراطية مع توجهات لصالح حماية الأقليات، وكان نقديا بعمق اتجاه الفروقات العميقة في الدخل والسلطة والقوة، وهذه الأفكار انصدمت مع الطروحات التي قدمها حول المساواة السياسية والاجتماعية.

كما أن هناك أفكار متناقضة مع فكره، حيث أن لديه مواقف ملتزمة بالتنمية الأخلاقية لجميع الأفراد لكنه في الوقت ذاته بدافع عن فروقات عميقة بين البشر لأجل أن يتمكن المربون من تثقيف الجهلة، و بهذا فإنه يقدم أفكار مهمة وواجبة الدراسة لصالح فكرة الديمقراطية، لكن عند الأخذ ببعض المسافة مع الخطوات العملية التي اقترحها، حيث أنها فعليا و في المحصلة معرقة لتطبيق ديمقراطية حقة¹.

كما يمكن ملاحظة أنّ ثقة ميل بالناخبين متدنية للغاية، حيث دافع بوضوح عن إقرار الاقتراع العام لجميع المواطنين، لكنه اقترح نظاما انتخابيا معقدا يريد من خلاله منع احتمال سيطرة الجماعة لاسيما الطبقة العاملة على النظام العام بجهل كفاءاتها. وعليه يمكن القول أنّ ميل قد كرسّ معظم حياته مدافعا عن رأيه في أنّ الليبرالية يجب أن تكون جدلية أي أن يكون الناس أحرارا بقدر كبير، لكن نجد أنّ هذا القول يتناقض مع بعض أفكاره التي تظهر أنها إصلاحية، كون أنّ للدولة الديمقراطية الليبرالية حسبه دورا هاما وفعالا في صيانة وحماية حقوق الأفراد، ومن أجل حماية الجماعات والأقليات عن طريق سن القوانين.

¹طلال حامد خليل: "المرتكزات الفكرية الليبرالية دراسة نقدية"، دفاثر السياسية و القانون، ع15، جوان 2016، جامعة ديالي، العراق، ص162.

ملخص الفصل:

- إن ليبرالية ميل أدت إلى مساهمة الكثير من المفكرين في توسيع هذه القضية باعتبارها من أهم القضايا السياسية التي شغلت الكثير من الفلاسفة في الفترة الحديثة. وعليه نستنتج أنّ فكر جون ستيوارت ميل حافل بالإنجازات والإيجابيات، لكن مع هذا تعرض الكثير من الانتقادات التي لاحظناها مع جون رولز و برانند راسل. ومن المفكرين العرب: أحمد لطفي السيد وعلي حسين الوردني إضافة إلى بعض المفكرين الذين لم يتم التطرق لهم، وقد قاموا هؤلاء المفكرين على أطروحات ميل وطوروها لإنشاء فكر جديد يلتمس فكر ميل مضيف له بعض الأفكار الجديدة.

خاتمة

خاتمة:

من خلال عرضنا لموضوع: " الفكر السياسي ل جون ستيوارت ميل"، توصلنا إلى مجموعة من النقاط أهمها:

- إنَّ الفيلسوف جون ستيوارت ميل قد تأثر بفلسفة عصره الإنجليز خاصة أستاذه بنتام ووالده جيمس ميل بحيث حمل أفكارها بعد وفاتها، وجعل من مذهب المنفعة أساس للإصلاح السياسي والاجتماعي، وقد تطورت النفعية على يده واتسعت مباحثها، بغية تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، وقد تأثر بالفلاسفة اليونانيين القدامى السفسطائيين و الأبيقوريين، لفهم أفكار ميل النفعية لابد من الرجوع لفلسفة الأبيقورية و السفسطائية في المنفعة.

- بحث ميل في كثير من القضايا السياسية مثال ذلك الحرية الليبرالية، والمنفعة و المرأة، والمنطق، واعتمد في ذلك على فلسفات سابقة تميز فكره.

- لاحظنا من خلال مفهوم الليبرالية عند ميل أنّ أساسها الذي قامت عليه هي الحرية والحدود التي قامت عليها الحرية هي الثورة على التضييق الذي مارسه الكنيسة ورجالها، فأصبح مفهوم الحرية في الفكر الغربي يدور حول الحقوق و الحريات الفردية.

- حدد ميل معنى العدالة وربطها بالمنفعة وجعل مبادئها قائمة على التعاطف الوجداني، كما نجد في فلسفة ميل أنها استهدفت تربية الفرد وتنقيفه، حتى يقوم بالأفكار الصحيحة ويسلك الطرق العادلة ليس خوفاً من الحكومات وإنما وفقاً للضمير، وهذا لا يكون إلا بتربية صالحة، وتقديم الحرية الكافية للأفراد وبهذا يحقق العدالة مع مراعاة الآخرين ويكون في كامل قناعاته بالتنازل عن حقوقه من أجل السعادة العامة للمجتمع.

- يعتبر ميل من أهم منظري الفلسفة النسوية، وكان مناصر الحرية المرأة ومساواتها بالرجل، ومن هنا يرى أنّ الكائن البشري ولد حراً، والمرأة لها كامل الحرية باعتبارها كائن بشري مثل

الرجل، كما أنها تملك كل الحقوق السياسية مثلها مثل الرجل كالانتخاب، التصويت، الترشيح، و العمل.

هذه أهم المحطات التي تناولها جون ستيوارت ميل في فكره السياسي، فبالرغم من العيوب و الانتقادات التي وجهت له إلا أنه ترك أثرا بالغا في معاصر الغرب والعرب الذين تأثروا به.

قائمة المصادر و المراجع

أ- المصادر باللغة العربية:

- 1- جون ستيوارت ميل: أسس الليبرالية السياسية ، تر: إمام عبد الفتاح إمام، ميشيل متياس، مكتبة مدبولي، د.ط، 1996 ، القاهرة.
- 2- _____ : استعباد النساء ، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي ، ط1، 1998، القاهرة.
- 3- _____ : الحكومات البرلمانية ، تر: إميل الغوري، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط1، بيروت ، 2017.
- 4- _____ : النفعية ، تر: سعاد شاهرلي حرار، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت، 2012.
- 5- _____ : سيرة اتية ، تر: الحارث النبهان، دار التنوير ، ط1، بيروت، 2015.
- 6- _____ : عن الحرية ، تر: هيثم كامل الزبيدي، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2007.
- 7- برتراند راسل: حكمة الغرب (الجزء الثاني) الفلسفة الحديثة و المعاصرة ، تر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د.ط) ، الكويت ، 1983.
- 8- جون رولز: العدالة كإنصاف ، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009.
- 9- جون رولز: نظرية في العدالة ، تر: ليلي الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
- 10- جون لوك: الحكومة المدنية ، تر: محمود شوقي الكيال، الدار القومية للنشر والطباعة، مصر، د.ت.
- 11- عبد الله العروي: مفهوم الحرية ، المركز الثقافي العربي ، ط5، بيروت ، 2012.
- 12- علي الوردي: مهزلة العقل البشري ، داركوفان ، ط2 ، بيروت ، 1994.
- 13- كارل بوير: درس القرن العشرين ، تر: الزواوي بغورة، لخضر مابوح ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ، بيروت، 2008.
- 14- كارل بوبر: مائة عام من التنوير ، تر: عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي سي أي سي، د.ط، 2017.
- 15- لطفي السيد: مبادئ في السياسة والأدب والاجتماع ، دار الهلال ، القاهرة ، 1963.

ب-المراجع باللغة العربية:

- 1- أنطوني دي كرسبني، كينيث مينوج: أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، تر: نصار عبد الله، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1996.
- 2- الطيب بوعزة: نقد الليبرالية، دار المعارف الحكيمة، ط1، لبنان، 2017.
- 3- احمد أمين، زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1935.
- 4- إميل برهية: تاريخ الفلسفة (الفلسفة الحديثة 1850-1945)، تر: جورج طرابيشي، ج7، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1987.
- 5- أنطوني دي كرسبني، كينيث مينوج: أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، تر: نصار عبد الله، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1996.
- 6- إيزايا برلين: الحرية: خمس مقالات عن الحرية، تر: يزن الحاج، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 2015.
- 7- الأمين سويقات: الأحزاب والأداء البرلماني دراسة مقارنة بين الجزائر والمغرب، أطروحة دكتوراه (قسم العلوم السياسية كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بكسرة 2016).
- 8- جورج زيتاتي: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993.
- 9- جون رولز: نظرية في العدالة، تر: ليلي الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
- 10- جون رولز: العدالة كإنصاف، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العامة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009.
- 11- حسين فوزي النجار: أحمد لطفى السيد (أستاذ الجيل)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، 1999، مصر.
- 12- ديفيد ج.كوج: السفستانية وأثرها على ما بعد الحداثة، حروف منثورة للنشر الإلكتروني، دط، 2014.

- 13- راحيل محمد غرابية: الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، دار المنار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2000.
- 14- رعاظي حميد: المعارضة البرلمانية والتحول الديمقراطي في العالم العربي دراسة مقارنة بين الجزائر و الكويت، مذكرة ماجستير، (قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2009.
- 15- زكريا ابراهيم: "المشكلة الخلقية"، مكتبة مصر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت)، ص152.
- 16- سوزان مولر أوكين: النساء في الفكر السياسي الغربي، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002.
- 17- سعيد بو شعير: القانون الدستوري والنظم السياسية المقارنة، ج2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998.
- 18- ضحى عبد الغفار المغازي: دورة حياة مشروع الشرق الأوسط الكبير تجربة أنثروبولوجية إعلامية مصرية، ج1، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط1، مصر، 2018.
- 19- عبد الله محمد الغدامي: الليبرالية الجديدة (أسئلة في الحرية والتفاوضية الثقافية)، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2013.
- 20- عبد الرضا حسين الطعان: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، ج2، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، د.ت.
- 21- عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، ط2، الكويت، 1975.
- 22- عبد العزيز بن مصطفى كامل: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، دار الكتب، د.ط، القاهرة، 1996.
- 23- عبد العزيز بن مرزوق الطريفي: العقلية الليبرالية (في وصف العقل ووصف النقل)، دار الحجار للنشر و التوزيع، ط1، الإسكندرية، 2011.
- 24- علي الوردى: مهزلة العقل البشري، دار كوفان، ط2، بيروت، 1994.
- 25- كليمانز ريكز: الليبرالية في تاريخ الفكر العربي، مركز المحروسة للنشر و الخدمات الصحفية، ط1، 2010.

- 26- محمد طاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، مطبعة دار النفائس، الأردن، ط2، 2001.
- 27- محمود كلي زيدان: الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، د.ط، الإسكندرية، 1977.
- 28- محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1979.
- 29- وهبة الزميلي: حق الحرية في العالم، دار الفكر، ط1، دمشق، 2000.
- 30- ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية ، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر و التوزيع، د.ط، القاهرة، 1984.
- 31- وليم كلين رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة، ط1، بيروت، 2010.
- 32- يمنى طريف الخويلي: فلسفة العلم في القرن العشرين (الأصول ، الحصاد، الأفاق، المستقبلية)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط ، القاهرة، 2014.
- 33- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمة عربية للترجمة و النشر، د.ط ، القاهرة، 2012.
- ج- المراجع باللغة الأجنبية:**
- 1- اللغة الانجليزية:
- 1- benthan Jeremy. An Introduction to the principale of morals and legislation , batoch books, kitcener,2000, P14.
- د- المعاجم و الموسوعات:**
- 1- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، الجزء الأول، تر: خليل أحمد خليل، مج1 ، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001.
- 2- ابن المنظور: لسان العرب، مج1، دار الصادر، بيروت، ط1، د.س.
- 3- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1982.

- 4- جوناتال ري، وج. أو، أرسون : الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013.
- 5- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج1، ط1، الكويت، 1984.
- 6- عمرو هاشم: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الانتخابية و البرلمانية، مركز الأهرام لدراسات الإستراتيجية، القاهرة، 2019.
- 7- مجموعة من الأكاديميين العرب: موسوعة الفلسفة العربية المعاصرة، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014.
- 8- محمد سيلا ، نوح الهرموزي: موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية و الفلسفة، منشورات المتوسط، ط1، بغداد، 2017.
- 9- معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج2، معهد الإنماء العربي، ط1، (دب)، 1988.
- ه- المجلات و الدوريات:
- 1- طلال حامد خليل: "المرتكزات الفكرية الليبرالية دراسة نقدية"، دفا تر السياسية و القانون، ع15، جوان 2016، جامعة ديالي، العراق.
- 2- خالد بن عبد العزيز السيف: الحرية عند جون ستيوارت ميل، قراءة في ضوء الإسلام، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد67، 30 أوت 2021، السعودية.
- 3- مجدي علي محمد عنيث: نظرية هكشر أولين في التجارة الخارجية في ضوء الفكر الاقتصادي الإسلامي، مجلة دراسات في علوم الشريعة و القانون، من إصدارات الجامعة الأردنية، الأردن، مح41، ملح2، 2014.
- و- الرسائل الجامعية:
- 1- ر عاطشي حميد: المعارضة البرلمانية والتحول الديمقراطي في العالم العربي دراسة مقارنة بين الجزائر والكويت، مذكرة ماجستير، (قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باتنة، 2009).

2- محمد الطاهر عديلة: تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية و العلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014.

ز- المواقع الإلكترونية:

1- ابراهيم العريس: مبادئ الاقتصاد السياسي لستيوارت ميل :يوم تنضب الثروات، الحياة، 2016\04\13، في

<https://google/qcwgfi>

2- أمين حمزاوي : الجدور الليبرالية للفلسفة النسوية، 19 ديسمبر 2019، الجمهورية، متاح على الرابط:

<https://www.aljumhuriya.net/ar/content>

3- بابلو سيمون: الديمقراطية عند جون ستيوارت ميل، تر: مصطفى أبو شمس، ياسين السويحة، الجمهورية، 2014\07\08، متاح على الرابط:

<https://aljumhuriya.net/ar/29588>

4- زكريا محمد علي: إيديولوجية الحركة النسوية، 2014\09\14، 15:22 ، متاح على الرابط:

<https://www.sasapost.com/opinion/ideological/feminism>

5- كاترين أودارد: الليبرالية الجديدة..التطور التاريخي لليبرالية الكلاسيكية، تر: ميشال سماحة، 2013\7\3، متاح على الرابط:

<https://www.lebanese-forces.com>

6- محمد محمد: جون ستيوارت ميل، 2017\09\08، متاح على الرابط:

<https://geiroon.net/>

ملخص الدراسة:

كان ميل فيلسوفا عقليا راديكاليا و من كبار فلاسفة المذهب الوضعي ،و لا احد يستطيع أن ينكر مكانته ،بوصفه فيلسوفا من فلاسفة التحرر في القرن التاسع عشر .

و جاءت هذه الدراسة بعنوان " **الفكر السياسي لجون ستيوارت ميل** " لتكشف عن الأسس التي قامت عليها فكرة سياسة ميل و تجلياتها على مختلف المجالات ،مع بيان الأثر الذي أحرزه الفكر السياسي في المفكرين العرب و الغرب ،حيث قدم ميل رؤيته الخاصة في مجال السياسة و التي عبر عنها من خلال أفكاره التي أوردها في أعماله الشهيرة خاصة كتابه " **الحكومات البرلمانية** " ،" **أسس الليبرالية السياسية** " ، و " **عن الحرية** " إضافة إلى " **النفعية** " ، هذه الأفكار تمحورت حول الأسس و الدعائم لقيام الفكر السياسي لميل ، فكان في طرحه السياسي متميزا خاصة في جعله للحرية القاعدة الأساسية للفرد ، و كان ميل ليبراليا يؤمن بحرية التجارة و بالمنافسة الكاملة ،و دافع عن حق المرأة في سياق دفاعه عن المساواة و العدالة. و رغم وجود العديد من الانتقادات التي وجهت إلى الفكر السياسي لجون ستيوارت ميل فانه يبقى له من المزايا ما لا يعد و لا يحصى كونه ساهم في تطور فكرة السياسة و أعاد للفرد هيئته و ثمن وجوده.